



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية



مطبوعة موجهة للطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص لسانيات عامة

بعنوان:

دروس في النحو الوظيفي

إعداد:

د. العامي حفيظة

السنة الجامعية: 2025/2024

فهرس المحتويات

أ.....	مقدمة
5.....	الدرس الأول: النحو الوظيفي مفهومه وأصوله
9.....	الدرس الثاني: النحو الوظيفي النشأة والتطور
21.....	الدرس الثالث : بذور النحو الوظيفي في التراث
26.....	الدرس الرابع: مبادئ النظرية الوظيفية ١
35.....	الدرس الخامس : مبادئ النظرية الوظيفية ٢
38.....	الدرس السادس: الفروق بين الاتجاه البنيوي و الاتجاه الوظيفي
49.....	الدرس السابع : القدرة اللغوية والقدرة التواصلية
55.....	الدرس الثامن: نحو الجملة ونحو النص
62.....	الدرس التاسع: البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية ، الوظيفة)
70.....	الدرس العاشر : بنية الجملة وأماطها في النحو الوظيفي ١
73.....	الدرس الحادي عشر : بنية الجملة وأماطها في النحو الوظيفي ٢
76.....	الدرس الثاني عشر : الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي
79.....	الدرس الثالث عشر: الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي
86.....	الدرس الرابع عشر: الوظائف التداولية في النحو الوظيفي
99	خاتمة

مقدمة

مقدمة :

شهدت الدراسات اللسانية في العصر الحديث تحولاً جذرياً في نظرتها إلى اللغة ووظائفها، حيث لم تعد مقتصرة على جمع المعطيات وتوصيف الظواهر السطحية، بل اتجهت نحو البحث في البنى العميقة والأنساق الذهنية التي تحكم الاستعمال اللغوي. ويأتي النحو الوظيفي في هذا السياق كأحد التيارات اللسانية التي أعادت رسم حدود التحليل النحوي، من خلال التركيز على العلاقة بين الشكل اللغوي ووظيفته التواصلية والسياقية. ولئن بدا هذا التوجه حديثاً في صيغته، فإنه يستبطن جذوراً فكرية قديمة، إذ "كانت أغراض اللسانيات في القديم تتطابق مع أغراض علم النحو الذي كان الهدف منه المحافظة على اللغة اكتساباً وتعلّماً، وذلك بتحديد سلسلة من القواعد يستعملها الناطق بصفة عقلانية وشعورية بدلاً من التعامل الحدسي واللاشعوري مع اللغة".

إن هذا الهدف، وإن بدا قديماً وثانوياً في ضوء المنجزات الراهنة، فإنه لا يزال حاضراً في صلب المشاريع اللسانية الحديثة التي تسعى إلى إنشاء نموذج لغوي قادر على تفسير إنتاج اللغة وتلقيها بآليات عقلانية قابلة للتقعيد. ومن هنا، انتقل البحث اللساني من مجرد الوصف إلى محاولة تمثيل الكفاية اللغوية لدى الإنسان، وإن كانت قد شهدت النظريات تواتراً سريعاً وتنوعاً مفاهيمياً واسعاً، دون أن يمنع ذلك من تسجيل مكتسبات علمية ومنهجية لا غنى عنها لأي مدرسة لغوية.

ويأتي النحو الوظيفي اليوم كامتداد لهذا المسار، متجاوزاً الطروحات البنيوية والتحويلية، ومؤسساً لمنهج يعترف بالوظيفة في تحليل البنية، ويجعل من السياق عنصراً مفسّراً لا هامشياً. وما يعزز هذا التوجه أن الكثير من الأنظمة التعليمية بدأت تراجع طرائق تدريس النحو، فبعد أن مرت بمرحلة تبني النحو البنيوي ثم نحو تشومسكي، سعت إلى التبسيط من جهة، والتوفيق بين النموذج التحليلي والواقع الاستعمالي من جهة أخرى.

أما في السياق العربي، فإن النحو الوظيفي يمثل فرصة لتجاوز الأزمة النحوية القديمة المتجددة، تلك الأزمة التي لطالما عبّر عنها القدماء بشكاوى صريحة من تعقيد المسائل النحوية وضيق المبدعين بقيودها، والتي دفعت في العصر الحديث إلى تجديد الدعوة لتيسير النحو وإعادة النظر في مناهجه وأهدافه.

الإشكالية :

نطمح من خلال طرح هذه الدروس للإجابة على إشكالية محورية تتمثل فيما يلي : إلى أي مدى يمثل النحو الوظيفي بديلاً فعالاً للنماذج النحوية التقليدية في تفسير البنية اللغوية من منظور تواصلية وسياقية؟، كما تُطرح أسئلة فرعية تتعلق بكيفية توظيف هذا النحو في تحليل اللغة العربية، وما مدى استجابته لخصوصياتها التركيبية والدلالية؟

المنهج

ونعتمد في هذا على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف المفاهيم والأسس النظرية للنحو الوظيفي، وتحليل مدى نجاعته في تفسير الظواهر اللغوية من خلال أمثلة مستمدة من اللغة العربية، مع مقارنة بينه وبين المناهج النحوية الأخرى من حيث الوظيفة والمقصد.

الأهداف :

إبراز الأسس النظرية التي يقوم عليها النحو الوظيفي وموقعه ضمن التيارات اللسانية المعاصرة.
بيان أوجه الاختلاف والتكامل بين النحو الوظيفي والنحو التقليدي في مقارنة الظواهر اللغوية.
الوقوف على إمكانات توظيف النحو الوظيفي في تعليم اللغة العربية وتيسير قواعدها.
المساهمة في تجديد النظر في تعليم النحو العربي بما يستجيب لحاجات المتعلم المعاصر وسياق الاستعمال.

المفردات:

مقدمة

1. النحو الوظيفي مفهومه وأصوله
2. النحو الوظيفي النشأة والتطور
3. بذور النحو الوظيفي في التراث
4. مبادئ النظرية الوظيفية ١
5. مبادئ النظرية الوظيفية ٢

6. الفرق بين الاتجاه البنيوي والاتجاه الوظيفي

7. القدرة اللغوية والقدرة التواصلية

8. نحو الجملة ونحو النص

9. البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية ، الوظيفة)

10. بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ١

11. بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ٢

12. الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي

13. الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي

14. الوظائف التداولية في النحو الوظيفي

الدرس الأول

النحو الوظيفي مفهومه وأصوله

الدرس الأول: النحو الوظيفي مفهومه وأصوله

النحو الوظيفي مفهومه:

تعتبر النظرية الوظيفية للغة وسيلة للتواصل الاجتماعي أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف

أهمها وظيفة التواصل وتعتمد النظرية فرضية أن بنية اللغة الطبيعية لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت هذه البنية بوظيفة التواصل

ومعني هذا الكلام في نظر الوظيفي أنه لا يمكن وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها وتكمن قدرة المتكلم في معرفته للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة فالقدرة إذن حسب الوظيفيين قدرة تواصلية معينة بواسطة اللغة فالقدرة وإذن حسب الوظيفيين قدرة تواصلية تشمل القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية

ويعد الجمع بين مبدأ الصورية والوظيفية في النحو الوظيفي مطعنا نظريا على اعتبارات الوظيفية مناقضة تماما للصورية، وفي الواقع ، ليس ثمة تناقض في أن يجمع النموذج اللغوي الواحد بين الوظيفية والصورية وذلك نظرا لأسباب الآتية:¹

أ- فالفكر اللساني ينقسم إلى فكر لساني قديم (تقليدي) وفكر لساني حديث وهذا الأخير تنبثق منه لسانيات وصفية والتي بدورها منها ما هي تصنيفية ومنها ما هي نظرية وهذه الأخيرة يندرج تحتها النظريات الوظيفية والنظريات غير الوظيفية

¹ ينظر، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتب الجديدة، ليبيا، ط2، سنة: 210، ص: 14

ب- الوصف اللغوي عن طريق نموذجي صوري مصوغ صياغة منطقية رياضية يبينه الوصف ليتقارب بواسطته موضوع الوصف - بالمعنى الحديث- نماذج صورية باعتبار أنها من الأوليات المنطقية الرياضية ليسعى بواسطتها إلى التمثيل لمختلف جوانب وأبعاد الظواهر اللغوية.

ج- من الجوانب المقومة للسان الطبيعي خصائصه الصورية كالخصائص الصرفية والخصائص الصوتية، هذه خصائص "صورية" على اعتبار أنها تتعلق بصورة اللسان الطبيعي (أو شكله)

إذ اعتبرنا التحديد الثاني لمفهوم "الصورية" وجدنا أن جميع الأنحاء "صورية" إذ لا يمكن أن يتم وصف اللغات الطبيعية ورصد خصائصها إلا بواسطة جهاز صوري

فالأنحاء الوظيفية بهذا المعنى أنحاء صورية تستخدم ما تستخدمه الأنحاء الأخرى من عدة منطقية رياضية في النمذجة أي في التمثيل المجرد للظواهر اللغوية موضوع الوصف

وسنرى أنا النحو الوظيفي على سبيل المثال يقترح نمودجا صوريا يتضمن ثلاثة مستويات للتمثيل (بينية حملية، بينية وظيفية وبنية مكونية) يربط بينها نسقان من القاعد (قواعد إسناد الوظائف وقواعد التعبير)

أما التحديد الثالث لمفهوم الصورية فإن الأنحاء زمردتان كما تقدم¹:

1- أنحاء تعد خصائص اللسان الطبيعي الصورية (الخصائص التركيبية والصرفية والصوتية) مقومات مستقلة عن الدلالة والتداول يتم وصفها وتفسيرها من الداخل أي دون اللجوء إلى عوامل دلالية أو عوامل تداولية.

2- وأنحاء تفترض أن هذه الخصائص الصورية لا يتسنى وصفها وتفسيرها الوصف والتفسير الكافيين إلا إذا عدت نتائج للتفاعل القائم بين الدلالة والتداول

¹ ينظر، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص 16، 17

ينعكس هذا الاختلاف على أنماط "النمذجة "

أو "بنية النحو" المتوفرة في الزمرتين من الأنحاء، ففي النحو الوظيفي على أساس المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية أي البنية التي تتضمن التأثير للخصائص الدلالية والتداولية

تعريف النحو الوظيفي:

"النحو الوظيفي مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة"¹

ومن المسلم به أن القواعد النحوية التي تنهض بأداء الوظيفة الأساسية للنحو محدودة محكمة، وليس فيها تشابك يربك الدارس، ولا تعقيد ينال من عزيمته، وهي قواعد لا تثقل الذهن، ولا ترهق الحافظة ولعل ما يميزها ويزيدها يسرا أن فيها كذلك إثارة للملاحظة وإيقاظ الملكات ففهم القواعد النحوية الوظيفية ، وممارسة التطبيق عليها يغني عن التكرار والرجوع إليها في الكتب ²

قدمت الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي في كتاب "سيمون ديك" الذي نشر سنة 1978 حيث أرسى هذا اللغوي أسس النحو الذي يقترحه وقدم الخطاطة العامة لتنظيم مكوناته / وقام منذ سنة نشر الكتاب، في إطار النحو المقترح، لا من إغناؤه وتطويره تطمح نظرية النحو الوظيفي ³ إلى الربط بين بنية اللسان الطبيعي وظيفته الأساسية وظيفته إتاحة التواصل داخل المجتمعات البشرية فكان من الطبيعي أن تتخذ موضوعا لها لا الجملة الواحدة بل الخطاب أي النص المؤطر بظروف إنتاجه، ولئن انصبت الأبحاث الأولى في هذه النظرية على الجملة بالأساس لأسباب عملية لا مبدئية فإنه سرعان ما انتقل المنشغلون في إطارها إلى التفكير توسيع موضوع الدرس إلى مجال يتعدى مجال الجملة.

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري ،، دار الأمان ، الرباط، 2001، ص4،3

² ينظر: المرجع نفسه ، ص16.

³ ينظر، المرجع نفسه، ص16

الدرس الثاني

النحو الوظيفي النشأة والتطور

الدرس الثاني: النحو الوظيفي النشأة والتطور

النحو الوظيفي "النشأة والتطور"

المدرسة الوظيفية : (1) على الرغم من اختلاف المدرسة الوظيفية **Functionalism** عن المدرسة البنيوية في كثير من القضايا ، فإنّها مثل المدرسة التوليدية تمثّل اتجاهاً متفرعاً عن البنيوية ، ولذا فإنّ بعض اللسانيين يرون أنّ هذه المدرسة " البنيوية " هي الإطار العام الذي يشمل معظم — إن لم يكن — كل الاتجاهات التي ظهرت في القرن العشرين .

وتتميّز المدرسة الوظيفية عن غيرها من المدارس اللسانية باعتقادها أنّ البنى الصيائية والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها ، وفي ذلك خروج عن المبدأ الواضح الذي أرساه **دي سوسير** ، وتبعه في ذلك البنيويون من أنّ البنى اللغوية ينبغي أن تدرس في حدّ ذاتها بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة بوصفها نظاماً مجرداً مستقلاً ، وتتلخص وجهة النظر الوظيفية في صعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه ، والوظيفة التي تؤديها البنية في السياق .

يعتبر الوظيفيون أنّ دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف **Les fonctions** التي تؤديها في المجتمع أثناء تواصل أفرادها ، ولقد تولّد هذا الاتجاه بخاصة عن الأعمال التي اهتمت بدراسة الظواهر الصوتية في إطار ما يعرف بالاتجاه الفونولوجي **La phonologie** الذي ظهر على يد **ترويتسكوي** ، وطور على يد **جاكسون** ، و**مارتيني** ، وحلقة براغ ، المؤسسة في عام 1928 (2).

ونلاحظ أنّ النظريات اللسانية من حيث موقفها من علاقة بنية اللغة بوظيفتها تنقسم إلى قسمين:

- 1- نظريات صورية وأشهرها النظرية التوليدية التحويلية لا تؤمن بأنّ للغة وظيفة معينة أو لا تؤمن — على الأقل — بجدوى أخذ الوظيفة بعين الاعتبار في التنظير اللساني .

¹ ينظر : محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ط01، سنة 2004م ، ص 63.

² ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص ص 60، 64.

2- ونظريات وظيفية تنطلق من مبدئين منهجين أساسيين تأدية اللغة لوظيفة التواصل، وارتباط بنية اللغة بوظيفتها هذه الارتباطات تبعية تدرج في الفئة الثانية من النظريات " نظرية النحو الوظيفي " .

نعلم أنّ اللغات تستخدم لتأدية وظائف متعددة مختلفة إلا أنّ هذه الوظائف فروع لوظيفة أصل هي وظيفة التواصل ⁽¹⁾ وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم وظائف هاليداي 1970 الثلاث (الوظيفة التمثيلية ، الوظيفة العلائقية ، الوظيفة النصيّة) على أساس أنها مجرد جوانب لوظيفة التواصل.

نفس التأويل يمكن أن يصح حين يتعلق الأمر بوظائف جاكسون 1966 الست ؛ حيث الوظيفة المرجعية (الإحالية) ، والوظيفة التعبيرية ، والوظيفة الأمرية ، والوظيفة الشعرية ، والوظيفة اللغوية (بسكون الغين) ، والوظيفة الميتا لغوية تتضافر كلها وإن بدرجات متقاربة تتفاوت فيها أنماط الخطاب في نفس العملية التواصلية .

وتنعكس الوظيفة كذلك إلى حد بعيد في بنية اللغة ⁽²⁾.

إذا كانت الوظيفة أولاً رسالة المراد تبليغها ، وثانياً قصداً ينطوي خلف الرسالة ، وكانت الرسالة وحدات معجمية وصرفية تنظمها علاقات تركيبية تتحقق في شكل متوالية صوتية فإنّ البنيتين الدلالية والتداولية تنعكسان في البنيتين الصرفية – التركيبية والفونولوجية إلاّ في حالات يمكن أن تعدّ استثناء تستقل فيها البنية عن الوظيفة .

ويحكم ترابط التبعية القائم بين الوظيفة والبنية ، وانعكاس الأولى في الثانية :

أ- عملية اكتساب اللغة .

ب- انقسام اللغة إلى أنماط .

ج- التطور اللغوي .

¹ ينظر : أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور ، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ط1، سنة

2012، ص 26

² ينظر : المرجع نفسه ، ص 26.

فالمبادئ الفطرية التي تؤطر عملية اكتساب اللغة والتي تشكّل كليات لغوية ، أو نحواً كلياً مبادئ تربط بنية اللغة بوظيفتها ، كما أنّ مفاده أنّ الطفل أثناء عمله للغة يكتسب بالتدرّج بنيات لغوية مشفوعة بما تؤدّيه من وظائف ؛ أي من أغراض تواصلية .

مثال ذلك أنّ الطفل لا يكتسب البنيات بوصفها مجرد تقاليد لنفس البنية ، بل باعتبارها تراكيب تؤدي ثلاثة أغراض تواصلية مختلفة : (1)

1- إخبار بجديد .

2- تصحيح لمعطى غير وارد .

3- اهتمام بذات دون غيرها .

بتعبير آخر ما يكتسب أثناء تعلم لغة ما ليس " قدرة لغوية " صرفاً ، بل قدرة تواصلية تمكن الطفل من معرفة أوضاع اللغة معجماً وصرفاً وتركيباً ، وكذلك من معرفة استخدام هذه الأوضاع في إنتاج خطابات متعددة متباينة الأنماط .

وتعرّف كل نظرية لسانية وتتميّز عن غيرها بثلاث ثوابت :

أ- منطلقاتها.

ب- أهدافها .

ج- المنهج .

والمنهج الذي تعتمده ، والذي يتمثل خاصة في النموذج الصوري الذي تصطنعه لمقاربة الواقع اللغوي المروم وصفه وتفسيره ، وتكون النظرية منسجمة انسجاماً لا يشوبه تناقض أو خلل حين يحصل التوافق بين النموذج والمنطلقات والأهداف .

نشأة المدرسة الوظيفية :

وتعدّ مدرسة براغ (2) **prague school** أفضل من يمثله الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة ، وقد نشأت هذه المدرسة في أحضان مدرسة حلقة براغ اللسانية التي أسسها اللساني التشيكي فاليم

¹ ينظر : أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور ، ص 27.

ماثيوس Vilom Matheius (1882-195) ، ولم تقتصر المدرسة الوظيفية في عضويتها على اللسانيين المقيمين في براغ فقط ، بل شملت أيضاً غيرهم ممن يقيمون في بقاع أخرى وكانوا يشاركون المدرسة أصولها وأفكارها الأساسية .

وبعد وفاة ماثيوس قام لسانيون آخرون أبرزهم بيتر سيغال Peter sgall وإيفا جيوفكا Eva Hjiocova اللذان حافظا على مدرسة براغ في أحلك الظروف التي مرت بها إبان الحكم الشيوعي ، وقد نجحا في إحياء حلقة براغ اللسانية رسمياً في نوفمبر 1992م بعد سقوط الشيوعية بثلاث سنوات ، واشتهر مؤسس المدرسة بما يعرف بالنظرة الوظيفية للجملة .

أهم المبادئ التي تقوم عليها هذه المدرسة : (1)

1- الوظيفة : ومنه جاءت تسميتها ، إذ أنّ الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي الوظيفة داخل التركيب ؛ أي أنه يبحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغيّر المعنى كلما استبدلت بأخرى فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أنّ لها وظيفة ، فالمعنى والوظيفة – إذاً- هما جوهر اهتمامات المدرسة الوظيفية الأوروبية .

وبناء عليه فإذا أراد الباحث تحليل المدونة **Un corpus** اللسانية تحليلاً وظيفياً عليه أن يحصى مجموعة من الوحدات اللغوية ، ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف أي (يقابل بينهما) ، وإذا ذاك تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية أي وظيفتهما ومثال ذلك :

الرجل	قال
الرجل	سافر
الرجل	ذهب

إنّ الملاحظة السريعة لهذه المدونة – على المستوى الفردي – تظهر أنّ ثمة ثلاث وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء ، وإنّ هذا التقابل هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينهما مما يؤكد أنّ لكل كلمة وظيفة داخل التركيب .

² ينظر : محمد علي يونس ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 69

¹ ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 17

وينطبق المنهج نفسه على المستوى الصوتي ، فلو أخذنا مدونة مكونة من **قاد - عاد - ساد** ، ثم قمنا بتقطيعها إلى أصغر الوحدات غير الدالة ؛ أي الفونيمات لإتضح جلياً الفوارق والتشابه سواء على مستوى المخرج (موضع النطق) أو الصفة ، على النحو المفصّل أدناه : ⁽¹⁾

/ق/ = لهوي + مجهور + شديد + مستعلي .

/ع/ = حلقي + مجهور + بيني .

/س/ = أسناني + مهموس + صفيري .

فهذا التقابل بين الفونيمات على مستوى الصفة والمخرج يؤكّد أنّ لها جميعاً وظيفة وهي قدرتها على تغيير معاني هذه الكلمات .

2- التقطيع المزدوج : La double articulation

إنّ من أهم الأفكار التي تُبنى عليها أفكار **مارتيني** وهي الميزة التي تباين الأنظمة اللسانية البشرية عن التنظيمات الاتصالية الأخرى كلغة الحيوان والطبيعة والإشارات ، وهو ينص على أنّ تحليل الوحدات اللغوية يتم على مستويين :

أ- التقطيع الأول : الذي يتكون من الكلمات الدالة ، أي المونيمات نحو :

أحضر الولد الكتاب ← أحضر / ال / ولد / ال / كتاب .

ب- التقطيع الثانوي : وهو ينطلق من هذه النتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة

ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى الفونيمات ؛ أي إلى أصغر الوحدات الصوتية المجردة من المعنى.

إنّ لهذا المبدأ قيمة لسانية ، ذاك أنّه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات ؛ أي (الأصوات اللغوية / الحروف) ، وهذا

ما يؤسس الاقتصاد اللغوي في اللسانيات **L économique linguistique**

إنّ من يرجع إلى القواميس ⁽²⁾ اللغوية يتبيّن له أنّ الاقتصاد هو الاعتدال والتوسط في الاسراف وهو مفهوم عام يشمل جميع مناحي الحياة ، فهناك الاقتصاد في المال ، والاقتصاد في الدين ،

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 18 ، 19

والاقتصاد في اللغة تتجاذبه نزعتان متضادتان إحداهما تميل إلى بذل أكبر جهد من أجل تبليغ فحوى الرسالة بكل أمانة وإحاطة تامة ، وهذا ما يدخل في باب احتياجات التواصل .

والنزعة الأخرى تدفع الإنسان إلى التقليل من الجهد والطاقة إرضاء لطبيعته التي تحبذ الميل إلى الراحة ، ولما كانت المدرسة الوظيفية ترى بأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل فقد اهتمت بالاقتصاد اللغوي .

3- السياق (محيط الكلام) Le contexte (1)

إنّ الكلام ليس أقوالاً بل أفعال تحتوي الحدث الكلامي والقضايا المادية المحيطة بالنص المنطوق أو المكتوب ، واللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط بشري جماعي إنها نمط من العمل وليس أداة للتأمل .

ويعتبر فيرث رائد النظرية السياقية فقد انصب اهتمامه بالصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة ، وتقوم نظريته على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية ، فالقول إنّ الإدراك اللغوي و المعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع سوى خرافة مضللة.

إنّ الترجمة الحرفية تفقده وظيفته الأساسية وهي التواصل بين بني البشر ، لذلك فإنّ معنى العبارات لا يتّضح ولا يكون جلياً إلاّ إذا روعيت الأنماط الحياتية للجماعة المتكلمة ، وكذا الحياة الثقافية والعاطفية والعلاقات التي تؤلف بين الأفراد داخل المجتمع ، فمعنى الكلام ليس سوى حصيلة لهذه العلاقات وإهمالها يؤدي حتماً إلى غيابه ؛ أي غياب المعنى لذلك يصّر "فيرث " على اعتبار اللغة جزءاً من المسار الاجتماعي ، وإنّ استخراج الدلالات اللسانية لا يكون ناجحاً إلاّ إذا ربطت اللغة بالقضايا الاجتماعية-والإنسانية للمجتمع ، من هنا ظهر مصطلح "السياق" (2) ، فاللغة إذاً ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة ؛ بل إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي الذي يعين على فهم

² ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص 97

¹ ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 20

² ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 21.

المعاني ضمن مواقعها ، ومن هنا صارت هذه المدرسة ، أي مدرسة " فيرث " تدعو إلى استقرار وتتبع الدلالات لأنها الموضوع الأساسي للدراسات اللسانية .

مبادئ التحليل اللغوي عند مارتيني : (1)

ينطلق أندري مارتيني في تحليله اللغوي من التعريف الذي وضعه للجملة ، وهو أنها كل عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة ، بناء عليه فقد قسم الجملة إلى نوعين من العناصر : عناصر أساسية ، وأطلق عليها نواة الجملة أو الركن الإسنادي **Le pyntagme** **prédicatif** ، وهو الأساس الذي يبنى عليه التركيب و تربط العناصر اللغوية روابطها به سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ويتألف الركن الإسنادي من مسند ومسند إليه .

والمسند إليه **prédicat** : هو كلمة تحمل في طياتها مضمون الخطاب وفحواه ، فهو في نظر مارتيني المركز الذي تدور عليه عناصر الجملة ، أما العنصر الآخر فهو المسند فيسميه مارتيني بالمنجز **Actualisateur** ، وقد سمّاه بذلك لأنّ وظيفته تتمثل في جعل المسند ناجزاً وفاعلاً ، بحيث يمكن أن يشكّل جملة لأنّ المسند إليه وحده لا يمكن أن يكون لنا جملة ، فكلمة " الدرس " لا تشكّل خطاباً أو كلاماً عليه لأنها في حاجة إلى ما يكملها ، فلا بدّ إذاً من إضافة كلمة أخرى إليها مثل " مفيد " أو " نافع " أو " ممل " ، أو غير ذلك فنحصل على تركيب مفيد على النحو التالي :

الدرس ← مفيد (2)

المسند إليه ← المنجز

. Actualisateur Prédicat

وكل ما زاد على النواة أو الركن الإسنادي هو عند مارتيني إلحاق **Expansion** ، وهو كما ترى مفهوم قريب من مصطلح الفضلة الذي أطلقه علماء النحو العربي القدامى على كل ما يضاف إلى العمدة (المسند والمسند إليه) وقد توصل أندري مارتيني من خلال دراسته للبنى التركيبية إلى أنّ الكلام عموماً يتألف من مجموعة من العناصر اللغوية وهي :

¹ ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص 98.

² ينظر : المرجع نفسه ، ص 97

1- الألفاظ المكتفية بذاتها Monèmes autonomes : ⁽¹⁾ هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها المستقلة دليل وظيفتها مثل : (اليوم - غداً - أحياناً - غالباً ...)، فالعلاقة التي تربط اللفظ المكتفي بذاته ببقية الملفوظ ليست قائمة على أساس موقعه في الملفوظ ؛ بل هي قائمة على أساس دلالاته الذاتية بغض النظر عن موقعه في السياق الذي يرد فيه ، فلفظ (اليوم) في الملفوظ : هم اليوم متقدمون في البناء الحضاري للإنسان .

غير مقيّد بالموقع الوارد فيه ، إذ يمكن له أن يظهر في مواقع أخرى :

- اليوم هم متقدمون .
- هم متقدمون اليوم .

نلاحظ أنّ تواتر اللفظ المكتفي بذاته " اليوم " كان تواتراً حرّاً في البنى التركيبية الثلاث ؛ أي غير مقيّد بترتيب ، وهذا يدل على أنّه مستقل تماماً عن الملفوظ ، والعلاقة التي تربطه ببقية العناصر تعود إلى دلالاته الذاتية ، فهو حينئذٍ قابل للظهور في أي موقع ، وهذه القدرة على الانتقال من موقع إلى آخر ناتجة عن اكتفاء اللفظ بذاته .

الألفاظ الوظيفية : (2)

اللفظ الوظيفي عنصر لغوي لا يحمل دلالة في نفسه ، وإنما تتمثل مهمته في تحديد دلالة عناصر أخرى غير مستقلة في الجملة ، فدور اللفظ الوظيفي إذ هو ضبط علاقة العناصر غير المستقلة في الخطاب ، كالوظيفة التي تؤديها حروف الجر ، وحروف العطف في اللغة العربية ، فلا يمكن فهم التركيب التالي :

- ذهب التلاميذ المدرسة .

إلاّ إذا أضفنا إليه عنصراً وظيفياً لتصبح على النحو التالي :

- ذهب التلاميذ إلى المدرسة .

¹ ينظر : أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتحدة ، ط02، سنة 2013، ص 235

² ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص 98.

الركن المكتفي بذاته Le Syntagme autonome (1):

يدخل ضمن مفهوم الركن المكتفي بذاته كل مؤلف من الألفاظ تكون العلاقة فيه وثيقة جداً ، وأكثر من تلك العلاقة بين العناصر الأخرى في الملفوظ ، والألفاظ الوظيفية هي التي تربط هذا المؤلف ببقية عناصر الملفوظ .

ويتألف الركن المكتفي بذاته من لفظين فأكثر ، ولا تتوقف وظيفته على موقعه في الملفوظ ، بل دلالة هذا الكل من الألفاظ هي التي تحدد علاقته بالسياق الوارد فيه ، ولكن في الغالب يشترط وجود لفظ وظيفي لتحديد حرية المجموعة في السياق الذي ترد فيه ، مثال : إنّ الشرير يكظم في نفسه الحقد.

فالركن الوظيفي في هذا السياق هو " في نفسه " ولا تتحدد علاقته بالجملة إلا بوجود لفظ وظيفي مرتبط به ألا وهو حرف الجر " في " ، وهذا الحرف هو الذي يربط عناصر الجملة ببعضها.

تطبيق :

- استخرج الركن المكتفي بذاته من الآية الآتية الذكر :

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۚ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (2) .

الحل :

- الركن المكتفي بذاته هو : (في) (قلوبهم) " في " في هذه الآية هو اللفظ الوظيفي الذي يربط المؤلف قلوبهم ببقية عناصر الملفوظ غير المستقل ، فالمؤلف " قلوبهم " لا تتحقق علاقته بالملفوظ إلا بوجود لفظ وظيفي لا ينفك عنه " في " .

الإلحاق : هو ما كان يسميه علماء العربي القدامى بالفضلة ، وهو كل ما زاد عن الركن الإسنادي ، أو النواة ، أو المسند إليه ، أو المنجز بمفهوم مارتيني ، وهناك نوعان من الإلحاق : (3)

¹ ينظر : أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 236

² ينظر : سورة البقرة ، الآية 93.

أ- الإلحاق بالعطف : Coordination

وهو نوع من الإلحاق يبقى فيه الكلام مطابقاً في بنيته للجملة النواة ، يعدّ حذف العنصر الأولي المعطوف عليه نحو : أمر المدير أن يحضر الأساتذة والتلاميذ .

فإذا حذفنا العنصر الأول من الإلحاق والمتمثل في المعطوف عليه مع حرف العطف تصبح الجملة على النحو التالي :

- أمر المدير أن يحضر التلاميذ .

فالمعطوف في هذه الجملة يبقى مطابقاً تماماً للبنية التركيبية الأولى المتمثلة في نواة الجملة على الرغم من حذف المعطوف عليه .

وفي مثال آخر :

- وأمر أن يحضر العظماء والأشراف ، فإذا حذفنا العنصر الأولي العظماء ، وعلامة الإلحاق " الواو " فإنّ الملفوظ يصبح :

وأمر أن يحضر الأشراف ؛ فالبنية التركيبية للملفوظ الثاني مطابقة للبنية التركيبية للملفوظ الأول

2- الإلحاق بالتبعية Subordination : (1)

يختلف الإلحاق بالتبعية عن الإلحاق بالعطف من حيث التطابق الوظيفي للعناصر الملحقة ، ففي الإلحاق بالتبعية يتميز العنصر الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي "المتبوع" يمكن أن نوضح ذلك بهذا المثال :

- فأمر له بجائزة عظيمة ؛ لا يجوز في هذا الملفوظ حذف العنصر الأولي " جائزة " ، وذلك لأنّ وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع " عظيمة " .

ويشمل مفهوم الإلحاق عند " مارتيني " وظائف مختلفة في القواعد التقليدية : كالنعت ، والمضاف إليه ، والمفعول ، والمعطوف الخ .

³ ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص ص 99 ، 100 .

¹ ينظر : أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 238 .

التواصل : (1)

لعلّ أهم مبدأ للمدرسة الوظيفية هو تركيزها على الجانب الوظيفي للغة باعتبارها أداة تواصل وتفاهم بين الأفراد من أجل تحقيق غايات معينة ، وذلك دون إهمال للوظائف الأخرى بطبيعة الحال ويقول مارتيني في هذا الصدد : « إنّ الوظيفة اللغوية تتمحور في الحقيقة حول عملية التواصل أو عملية التفاهم المتبادل ، فاللغة هي قبل كل شيء الأداة التي يتّوَسَّلُها أفراد المجتمع لإقامة الاتصال بعضهم ببعض ، ويرتبط تطور اللغات عبر الأزمنة بحاجات التواصل التي تقتضيها الحياة المجتمعية »².

¹ ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص 94.

² ينظر : ميشال زكريا ، مباحث في الألسنية العامة ، ص 253.

الدرس الثالث

بذور النحو الوظيفي في التراث

الدرس الثالث : بذور النحو الوظيفي في التراث

بذور النحو الوظيفي في التراث:

وقبل أن نعالج مفهوم النحو في مقامه اللساني علينا أن نعلم :

أنّ النحو آلة وصف تركيب اللغة وقوانينها ، فمن أراد تعلّم اللّغة لابدّ له من معرفة قواعدها لأننا بطبيعة الحال لا نتكلم بمفردات اللغة منفصلة ؛ بل إنّ المفردات تنتظم مع بعضها بموجب قواعد معينة بعضها عام مشترك بين لغات الأرض كافة .

والبعض الآخر خاص بكل لغة على انفراد ، وتعتبر الجملة هي الوحدة الرئيسية للتواصل ، وهذه القواعد هي ما نطلق عليه النظام النحوي ، وهي قواعد في غاية التعقيد .

دأب المنشغلون بتاريخ الدرس اللغوي ⁽¹⁾ على التمييز بين المرحلة القديمة مرحلة الدراسات النحوية ، والمرحلة الحديثة مرحلة اللسانيات ، وإذا كان الاتفاق حاصلاً على التمييز بين هاتين المرحلتين ، فإنه حاصل كذلك على جعل نشأة اللسانيات مطابقة لظهور كتاب **دي سوسير** الشهير، إلا أنّ قلة من مؤرخي اللسانيات تدرج في المرحلة الثانية الدراسات اللغوية التاريخية – المقاربة التي ازدهرت في القرن التاسع عشر ، والفروق مرجعها في هذا الإطار إلى ما يلي : ⁽²⁾

1- من حيث ظروف الإنتاج ، توافر اللسانيات من المحيط العلمي ، ومن الاستفادة من مختلف العلوم ما لم يتح للدرس اللغوي القديم ، وإن كان له أيضاً محيطه الفكري والثقافي الخاص به ، ممّا أفادت منه اللسانيات كما هو معلوم الفلسفة والمنطق ، والرياضيات الحديثة ، وعلم النفس ، والحاسوبيات ونظمها .

2- من حيث موضوع الدراسة لم يجاوز الفكر اللغوي القديم حدود اللغة الواحدة ، والتعقيد لهذه اللغة الواحدة (الهندية ، أو العربية ، أو الفرنسية مثلاً) ، في حين أنّ موضوع اللسانيات هو اللغات على اختلاف أنماطها ، أو بالأحرى الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية.

¹ ينظر : أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، مكتبة دار الأمان ، الرباط ، ط01، سنة 2006م ، ص

² ينظر : المرجع نفسه ، ص 37.

3- كان الهدف الأساسي من الدراسات اللغوية في القديم تعليم اللغة والحفاظ عليها من أن يشوبها لحن أهلها ، أو الواردين عليها ، في مقابل هذا تسعى اللسانيات عبر دراسة مختلف أنماط اللغات إلى إقامة نحو كلي يضطلع برصد خصائص اللسان بوجه عام .

4- يقوم النحو القديم على أوصاف متفرقة لأبواب مختلفة في الغالب الأعم ، هذا لا يعني بحال أن روح التنظير غير موجودة عند قدماء اللغويين ، إنما يعني أن منهج اللسانيات منهج مغاير يقوم على بناء نماذج خاضعة لقواعد الاستنباط ، وقوانين الصورية العلمية ، وقابلة لأن تُزار حاسوبياً

غير أن العمل اللساني جميعه مما تمّ انجازه قبل بداية القرن التاسع عشر ⁽¹⁾ ، كان إمّا مكرساً لحل المشكلات العلمية للغة في مجتمع بعينه ، وإمّا كان إنجازاً " قد تمّ في إطار هموم فلسفية أكثر اتساعاً ؛ أي هموم غير لسانية يمكن أن نقول اختصاراً " إنه فيما قبل القرن التاسع عشر لم يكن للسانيات وجود بوصفها مجالاً معرفياً له منهجه العلمي ونظريته العامة الراسخة الأساس .

وفي هذا السياق فمن باب التذكير والتأكيد يجب علينا رصد جهود ⁽²⁾ ما قام به الإغريق من بحوث لسانية كثيرة ، فقد كانوا أول المنظرين اللسانيين في العالم وانفردوا بذلك لزمن طويل ، وكانوا أيضاً أول من اهتم من الأوروبيين بالدراسة المنضبطة للنصوص المدونة ، وبتبثيت المعايير الخاصة بلغة ثقافتهم ، ولم يكن الإغريق أول من أسس قواعد النحو الأوروبي التقليدي فحسب ، بل إننا مدينون لهم بتقاليد البحث النحوي التي جرى الحفاظ عليها بأمانة فيما تلا ذلك من قرون .

ولا شك أيضاً أن الهنود القدماء جديرون بما اكتسبوه من شهرة ذائعة بفضل عطائهم المتميز للدراسات النحوية ، وهم يذكرون اليوم بتقدير خاص لا يرجع في الغالب إلى الحجم المذهل لعملهم وما حققوه من نتائج ، بل يرجع إلى حساسيتهم تجاه الوصف الموضوعي المنضبط للحقائق اللغوية ، وقد عرف أساتذة النحو القديم هؤلاء كيف يعرفون الظواهر بأكبر قدر من الدقة والإيجاز ، وبطريقة رياضية في الأعم الغالب ، وبسبب ما تمتعوا به من حس خاص بانضباط المنهج في التحليل بوصفهم أقدم الرواد لعصر اللسانيات البنيوية والرياضية السائدة في هذا الزمان .

¹ ينظر : ميلكا إيفيتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة : سعد عبد العزيز وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2، ص 13.

² ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 9، 2، 27

كما اقتفى الرومان آثار الإغريق بأمانة السنسكريتين بصفة خاصة في بحوثهم اللسانية ، وفي القرن الأول قبل الميلاد كتب النحوي **قاروا Varro** نحو اللغة اللاتينية جعل عنوانه اللسان اللاتيني. **De lingua latina** ونال تقديرًا كبيراً سواء في زمانه ، أو فيما تلا ذلك ، وقد أولى في كتابه اهتماماً بالصرف ، وعُدَّ نحوّه نموذجاً لأجيال كثيرة من المتخصصين في اللغة في العصور الوسطى ممن اجتهد في دراسة اللاتينية التي هي لغة ثقافتهم .

كان علم النحو ⁽¹⁾ هو التخصص الوحيد الذي لم يبدأ مرحلة التطور المكثف حتى بداية القرن العشرين ، وكان التقدّم البطيء في علم النحو حتى ذلك الحين ، وفي العقود الأولى من القرن العشرين محكوماً بمظاهر ضعف ظاهرة في المنهجية .

وقد كان علاج هذه المظاهر على وجه - الإجمال - أقل شمولاً ، وأقل تعقيداً إلى حد كبير مما كانت عليها الحال في منهجية الصوتيات وعلم الصرف ذلك أنّ ظاهرة " التركيب " قد عولجت عادة من زاوية المعنى ، وجرى تحليلها بمعايير ذاتية خضعت للذوق اللساني عند الباحث .

وبذلك فقدت التعريفات النحوية سلفاً أكثر عناصرها ضرورة ، وهو عنصر الدقة العلمية ، وألحق أنّ النحو كان هو السبب الأساسي فيما اكتسبته اللسانيات التقليدية من سمعة سيئة حين نعتت بأنّها عمل ذهني ، ولم تظهر مظاهر التجديد الأولي في علم النحو حتى الثلاثينات من هذا القرن ، ولم يخط النحو في تطوره خطوة حاسمة إلا حين شرع الباحثون في تطبيق المنهج البنيوي .

وقبيل عام 1960م دخل النحو الحديث أهم مراحل تطوره ، ففي ذلك الحين تحديداً تأسس النحو التوليدي **Générative grammaire** ، ولقد وضع هذا المصطلح لكي يؤكّد أنّ هذا النحو يقصد به الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجمل وتراكيبها .

ومن أبرز مظاهر الثورة التي أحدثتها النظرية التوليدية التحويلية ⁽²⁾ في مجال اللسانيات نقل الدرس اللغوي من البحث في المعطيات والوقائع اللغوية التي يمكن حصرها وتجميعها يحال إلى البحث في قدرة المتكلم - السامع التي تمكّن من إنتاجها وفهمها ، ويشترط في النظرية الوظيفية المثلى أن

¹ ينظر : ميلكا إيفيتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة : سعد عبد العزيز وآخرون ، ص ص 277، 279.

² ينظر : أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، ص 45.

توسّع هذه القدرة بالأخذ بعين الاعتبار طاقات ومعارف أخرى إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية النحويّة والصّرف .

الدرس الرابع

مبادئ النظرية الوظيفية ١

الدرس الرابع: مبادئ النظرية الوظيفية ١

مبادئ نظرية النحو الوظيفي ١:

ينسب النحو الوظيفي إلى المدرسة الوظيفية أو الاتجاه الوظيفي الذي ظهر في مدرسة براغ (Prague school) وهي مدرسة لا تختلف كثيرا عن المدرسة البنيوية الوصفية في وصف اللغة لكن هذه المدرسة تجاوزت الوصف واهتمت بالتفسير الوظيفي اهتماما يفوق اهتمام المدارس الأخرى المعاصرة لها اهتماما لا ينفصل عن دراسة اللغوي نفسه ، فركزت على كيفية استعمال اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستعين بها أفراد المجتمع لتحقيق أهداف معينة¹

والتحليل النحوي الوظيفي للجملة لديهم ينحصر في بيان الوظائف التي تؤديها اللغة في البيئة اللغوية، وتنطلق هذه النظرية من مبدأ وظيفة التواصل وتؤسس على هذا المبدأ وصف بنية اللغات صرفا وتركيبا وصوتا وتطورها، وهي كذلك النظرية التي تجعل من وظيفة التواصل أساسا للبحث في إشكالات النظير اللساني الكبرى كإشكال اكتساب اللغة وإشكال الكليات اللغوية.²

المنطلق والأسباب³:

وقد كان منطلق تعميق النحو الوظيفي في ألمانيا هو حقيقة أن بحث النحو منذ عشرات السنين في حالة حركة وأزمة وتعثر وصيغت في سياقات مثل:

نهاية النحو، مخاطر النحو، النحو في مفترق الطرق ل(فايسجربر)

w.eisgerber

¹ ينظر: جنان التميمي ، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الغرابي بيروت/ ط 1 ، سنة: 2013، ص: 67

² أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 44

³ ينظر، جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، سنة: 2003، ص 307

ويرى النحو الوظيفي هذه الأزمة المفترضة للنحو على النحوين

أ- فهو يدركها من جهة على أنها قصر النظرية النحوية ويرتبط بذلك أيضا قصور المصطلحات النحوية التي- لما كانت ترجع إلى جهاز المفهوم اليوناني اللاتيني - يصعب أن تستوعب خواص اللغات المعاصرة

ب- ويدركها من جهة أخرى أيضا على أنها قصور لمناهج الدرس النحوي المعاصر وانطلاقا هذه المعلومة لم تؤد المناهج الحالية للدرس النحوي في المدرسة إلى نتائج المرجوة وبذلك يتعلق الأمر بقصور نظري، علمي، منهجي

أراد النحو الوظيفي أن يتغلب عليه، ويستنبط من ذلك دعواه المزدوجة، هي أن تكون نحوا مدرسيا علميا ونحوا علميا أيضا ويؤكد ف. شميت **w.shmidt** صراحة على أن النحو الوظيفي هو أن نتحدث عن درس نحوي وظيفي حين يطبق وفق معناه التصور الأساسي النظري ومناهج معالجة الظواهر اللغوية

ويقر ف. شميت بوجه عام بأنه بين النحو الوظيفي بوصفه علما نظريا والنحو الوظيفية بوصفه منهج تدريس فروق كمية بل إنه يشير بشكل ملح إلى أن النحو الوظيفي ليس مسألة تدريس فحسب بل هو في المقام الأول مسألة موقف نظري أساسي تجاه المعطيات النحوية واللغوية بوجه عام أيضا، ويجب أن نبقي هذه المهمة المزدوجة نصيب أعيننا عند عرض النحو الوظيفي وتقويمه ويجب أن يفرق في ذلك بين المراحل مختلفة في أثناء تطور النحو الوظيفي والصياغة المتباينة للمفاهيم المحورية وبخاصة لمفهوم الوظيفية.¹

¹ ينظر، جرهان هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص: 307

وانطلاقاً من أن المناهج الحالية للدرس النحوي لن تؤدي النتائج المرجوة أراد النحو الوظيفي أن يتغلب عليها، فهو يناقض الطرائق المعروفة في تعليم اللغة من خلال التدريب على أن النحو الوظيفي ليس غاية في ذاته بل يعمل على هداية الطلاب وتمكينهم من اللغة بشكل عملي إلى حد بعيد.

بنية الجهاز الواصف للنحو الوظيفي : ¹

- 1- اللغة بنية تركيبية صرفية ودلالية تخلفها وظيفة التواصل .
- 2- الخصائص الوظيفية للغات الطبيعية تحدد إلى حد بعيد خصائصها البنيوية .
- 3- البنية التركيبية الصرفية نتيجة لتفاعل أنواع ثلاثة من الخصائص .
 - أ- الخصائص الدلالية .
 - ب- الخصائص التداولية .
 - ج- الخصائص التركيبية .
- 4- العلاقات بين مكونات الجملة أنماط ثلاثة علاقات دلالية 'علاقات ، المنفذ ، المتقبل ، الأداة ، الزمان ، المكان (

نحو : أهدى المعلم (المنفذ) أمينا (مستقبل) هدية (متقبل)

- راقبت تطورات الخلية بالمجهر (أداة)

- قابلت سناء البارحة (زمان) في المكتبة (مكان)

وعلاقات تركيبية : علاقة الفاعل : المفعول نحو : قدم المذيع الفاعل النشرة المفعول .

¹ - ينظر: أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، ص: 137.

وعلاقات تداولية : علاقة المبتدأ ، الذيل ، المحور ، البؤرة ، نحو :

- محمد رجع أبوح

مبتدأ خطاب

مجال الخطاب حمل

- أبوه مريض (أحمد) ذيل

- متى أهاتفك

هاتفني غدا

البؤرة : (متى ، غدا)

5- العلاقات الدلالية والعلاقات التداولية علاقات كلية يراد استخدامها في الوصف الكافي للغات الطبيعية جميعها، في حين أنّ العلاقات التركيبية علاقات غير كلية، إذ يستغنى عن استخدامها في الوصف الكافي لبعض اللغات الطبيعية .

"فقدرة المتكلم حسب النحو الوظيفي "قدرة تواصلية"؛ بمعنى أنّها معرفة القواعد التداولية (بالإضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية) هي التي تمكّن من الإنجاز في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محدّدة" ¹ .

أمّا الوظائف التركيبية ² فاستخدامها غير وارد في وصف جميع اللّغات الطبيعيّة، إذ أنّ هناك لغات متعددة لا يحتاج في وصف خصائصها الوصف الكافي لاستعمال مفهوم "الفاعل" ومفهوم

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، الرباط، بدون ط (1985)، ص : 11.

"المفعول" تمتاز هذه اللغات بأنّ وظيفة الفاعل لا يمكن إسنادها إلاّ إلى الموضوع "المنقذ" بحيث لا نجد في هذه اللغات تراكيب مبنية للمجهول، وأنّ الوظيفة "المفعول" لا يمكن إسنادها إلاّ إلى الموضوع "المتقبل" بحيث لا نجد فيها ما يقابل التراكيب نحو : منح محمد مصطفى كتباً .

6- أنواع العلاقات الثلاثة أولى وليست علاقات مشتقة ناتجة عن تركيبات شجرية معيّنة؛ أي "أها ليست مفاهيم مشتقة من بنيات مركبة معيّنة، فالبنية المكونية للجملة يتم بناؤها خلافاً للنماذج التوليدية التحويلية ذات الطابع المركب انطلاقاً من المعلومات المتواجدة في البنية الوظيفية"¹.

7- ليست ثمة علاقة مباشرة بين مستوى البنية الدلالية ومستوى البنية الصرفية - التركيبية؛ بل إنّ الربط بين المستويين يتم عن طريق مستوى ثالث هو مستوى البنية الوظيفية .

8- يتم اشتقاق الجملة² عن طريق البنية الدلالية إلى بنية صرفية تركيبية عبر بنية وظيفية لا العكس .

9- إستجابة لمبدأ الكفاية النفسية يتم اشتقاق الجملة بواسطة بناء البنيات الثلاثة الدلالية، الوظيفية، التركيبية، الصرفية عن طريق تطبيق قواعد غير تحويلية لا تغير البنية.... حذفاً ولا تعويضاً ولا نقلاً.

10- إستجابة للمبدأ نفسه لا يمثل للمحتوى الدلالي للمفردات عن طريق نسق عام من الوحدات الدلالية المجردة؛ بل يمثل لها كما هي واردة في اللغة موضوع الوصف .

11- البنية مصدر اشتقاق الجملة بنية غير مرتبة لا بالنظر للمكونات فيما بينها فحسب؛ بل كذلك بالنظر إلى عناصر المكونات ذاتها .

² ينظر : يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية وإستراتيجية التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01 (2014)، ص : 108.

¹ علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، دار الثقافة، دار البيضاء، ط01 (1998)، ص : 50.

² ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص : 139.

12- يتم ترتيب عناصر المكونات وترتيبها في مرحلة متأخرة؛ أي في مستوى البنية التركيبية الصرفية عن طريق تطبيق نسق من القواعد تلحق المكونات بالمواقع التي تقتضيها وظائفها المؤشر لها في البنية الوظيفية .

حظيت ¹ نظرية النحو الوظيفي منذ ظهورها في أواخر السنوات السبعين باهتمام العديد من الباحثين الذين اتخذوها إطاراً لأبحاث تناولوا فيها ظواهر مختلفة (معجمية وصرفية - تركيبية ودلالية وتداولية) في فصول من اللغات متباينة .

وقد أسهمت هذه الأبحاث في تطوير وإغناء النظرية تطوراً وإغناءً أدبيا إلى إعادة النظر في بنية الجهاز الواصف ككل وصياغة العديد من المبادئ والقواعد .

ونتج عن إعادة النظر هذه أننا أصبحنا أمام نموذج ثان ، النموذج الذي يرسم ديك معالمة الأساسية في كتابه الأخير (ديك 1989) ويكمن الفرق الأساسي بين هذا النموذج والنموذج الأول (نموذج 1978) في ثلاثة تعديلات : ²

أ- الانتقال من نحو بسيط إلى نموذج متعدد القوالب يطمح إلى وصف مختلف الملكات التي تشكل قدرة المتكلم التواصلية .

ب- تقليص البنيتين الحملية والوظيفية إلى بنية تحتية واحدة .

ج- صياغة هذه البنية التحتية على أساس إحتوائها مستويات متعددة للتمثيل، يتم اشتقاق الجملة حسب نموذج 1978 كما هو معلوم عبر مراحل ثلاث يضطلع في كل مرحلة منها ببناء بنية تمثل لزمرة من الخصائص المحطات الاشتقاقية إذن ثلاث بنيات :

- البنية الحملية .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الرباط، ط01 (1993)، ص : 05.

² ينظر : أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص : 06.

- البنية الوظيفية .

- البنية المكونية .

ويتكفل ببناء هذه البنىات ثلاثة أنساق من القواعد أو ثلاثة مكونات :

- الأساس .

- قواعد إسناد الوظائف .

- قواعد التعبير .

وتقوم هذه الأنساق القاعدية بوظيفتها على النحو الآتي :

يُمَدِّد الأساس (الذي هو عبارة عن خزانة للمفردات) باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق، وهو مدخل معجمي (أصل أو مشتق) يمثل له في شكل "إطار محمولي" يرصد الخصائص الدلالية والتوزيعية للمفردة .

وينقل هذا الإطار المحمولى إلى بنية حملية تامة التحديد بإجراء توسعية أي إضافة الحدود اللواحق وتخصيص السمات الجبهية والزمنية للمحمول، هذه البنية تُتَّخَذُ دخلاً لقواعد إسناد الوظائف فتحدّد الوظائف التركيبية (الفاعل والمفعول) أولاً ثم الوظائف التداولية (المحور والبؤرة) فيحصل على بنية وظيفية، في هذه البنية تتوافر المعلومات الدلالية والتداولية التي تستلزمها قواعد النسق القاعدي الثالث، وقواعد التعبير، هذه القواعد فتتان هما :¹

1- قواعد تحدد الصورة التي تتحقق فيها عناصر البنية (قواعد صرفية، قواعد إسناد الحالات الإعرابية، قواعد إدماج المعلقات).

¹ ينظر : أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص : 6.

2- قواعد تحدد رتبة هذه العناصر (قواعد الموقعة) والبنية الناتجة عن تطبيق قواعد التعبير هذه تتخذ دخلاً للقواعد الصوتية التي يتم بواسطتها إسناد التأويل الصوتي .

ويمثل كتاب (ديك 1989) خلاصة مختلف الاقتراحات التي قُدمت خلال عشر سنوات لتعديل وإغناء النموذج الأول، ولعلّ أهم جديد في هذا الصدد هو : ¹

1- توسيع النموذج توسيعاً يمكنه الأخذ بعين الاعتبار لكل الملكات التي تشكّل القدرة التواصلية وبناءؤه على هذا الأساس بناءً قاليًا .

2- تقليص البنيتين العملية والوظيفية إلى بنية تحتية واحدة وصياغة هذه البنية على أساس أنها تمثل لأشياء أخرى غير الواقعة ذاتها وأنها لا تشتمل على مستوى واحد بل على عدّة مستويات، وستتضح هذه المفاهيم أكثر عندما نرصد أهم مبادئ النحو الوظيفي .

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص : 8، وينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص : 140.

الدرس الخامس

مبادئ النظرية الوظيفية ٢

الدرس الخامس : مبادئ النظرية الوظيفية ٢

مبادئ النحو الوظيفي ٢ :

إنّ مناهج الكشف الدقيق عن الانجاز التواصلية ما زال الوقت الحاضر غير كاملة وأنّ النحو الوظيفي تبعاً لذلك لا يمكن في المستقبل أيضاً أن يتخلى عن منهج "التحليل المنطقي"، ومنهج "التفسير الدّاتي"، وفي السعي نحو مناهج أكثر دقة اتّخذ النحو الوظيفي بعض طرائق علم اللّغة البنيوي، وبخاصة تلك الطرائق الخاصة بالضبط مثل تلك التي طوّرها جلنس **Glinz** باختبار الحذف واختبار النقل الإحلال غير أنّه قد طورت مناهج مثل تلك التي تحت إسم الاستبدال والتوزيع والتحويل... الخ في علم اللّغة البنيوي .

ومن المبادئ الأساسيّة للنحو الوظيفي ما يلي :

1- إعتبار وظيفة التواصل الوظيفية الأساسيّة للّغات الطبيعيّة " ويكمن جوهر النظرة اللّغويّة الوظيفيّة في أنّها تبقى دائماً بشكل أساسي قطبي إرتباط الشكل بالوظيفة نصب عينها، وفي ذلك يمكن أن تنطلق النظرة الوظيفيّة إمّا من الشكل أو من الوظيفة ويمكن أن تحدّد أوجه التركيز بشكل مختلف في العرض كلّ حسب الهدف الخاص بالبحث، الفصيل فقط هو أنّها لا تقف عند النظرة المنعزلة لجانب من علاقة التبادل وأنّها تبحث " الفعل التواصلية اللّغوي " دائماً بقصد الكشف عن حتميات عمل الوسائل اللّغويّة ونظامها المقتضي وظيفيّاً " ¹ .

¹ جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة : سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط01 (2003)، ص : 315.

وقد تمت صياغة المبادئ العامة التي تقوم عليها نظرية النحو الوظيفي فيما أطلق عليه " المبادئ العشرة" إلا أنّ هذه المبادئ العشرة جميعها تقبل التقليل، دون إخلال إلى أربعة مبادئ أخرى فرع عنها وتتلخص المبادئ الرئيسية فيما يلي:¹

- أ- مقارنة اللغة تقوم على أساس أنّها أداة للتواصل داخل المجتمعات البشرية .
- ب- وظيفة اللغة الأساس هي وظيفة التواصل تتفرع عنها وظائف أخرى (تعبيرية وإقناعية وغيرها).
- ج- القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية قدرة تواصلية عامة تشمل كل المعارف اللغوية والخطابية وغيرها التي تمكنه من إنتاج أي خطاب وفهمه وتحويله إمّا ترجمة، أو تأويلًا، أو شرحًا .
- د- تحكم الوظيفة بنى اللغة عامة وبنية ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابية إما في التزامن أو في التطور .

ولنتعمق أكثر شرحًا نجد أنّ اللغة هي في الأصل نسقًا من الخصائص الصورية (صوتية، صرفية، تركيبية، معجمية) فإنّ من مقوماتها كذلك أنّها تؤدي وظيفة معينة داخل المجتمعات البشرية

¹ ينظر : محمد الحسن ملبطان، نظرية النحو الوظيفي ، الأسس والنماذج والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط01 (2014)، ص : 19.

الدرس السادس

الفروق بين الاتجاه البنيوي و الاتجاه الوظيفي

الدرس السادس: الفروق بين الاتجاه البنيوي و الاتجاه الوظيفي

يظن البعض أنّ علم اللّسانيات ما هو إلاّ القواعد المدرسية القديمة ، قد بُنيت فيه الحيوية عبر استعمال عدد قليل من المصطلحات الجديدة لكنه في الحقيقة يتميز بأنّه علم وصفي **descriptive** لا معياري **Prescriptive** ، فعلماء اللّسانيات يعنون بدراسة ما يقال ، لا بما يحسون أنّه يجب أن يقال .

إنّهم يصفون اللّغة من كل جوانبها ، دون أن يفرضوا قواعد لـ « الصوت اللّغوي »
Correctness

، فيمكن للّساني أن يحلل الظاهرة اللّغوية في وقت بعينه (اللّسانيات الوصفية) ، وأن يدرس تغييرها عبر عدد من السنوات (اللّسانيات التاريخية) .

ويمكننا أن نعرّف علم اللّسانيات بأنّه "الدراسة المنهجية للّغة " ؛ أي أنّه هو الفرع المعرفي المعني بوصف اللّغة من كل جوانبها وبصياغة نظريات تكشف لنا عن الكيفية التي تعمل بها .

واللّغة هي نسق من العلاقات المجرّدة (الصوتية ، والفونولوجية ، المعجمية ، والتركيبية ، والدلالية والتداولية) وأداة للتواصل والتفكير والتأمل والتعبير لا غنى عنها في أي مجال ، لذا فإنّ لها وضعاً اعتبارياً مزدوجاً ، فهي في نفس الوقت موضوع يمكن دراسته بشكل من الأشكال ، وأداة تحيل على ممارسات ومعرفة اللّغة هو في الواقع معرفة ثقافة وآداب وحضارة وسلوكات تمثّل التجربة الإنسانية ، لذا شكّلت المعرفة اللّسانية خلفية نظرية أساسية في مجال تعليم وتعلّم اللّغة .

وقد ساعد عموماً تطور اللّسانيات واستوائها على استفادة تعليم وتعلّم اللّغات بتطوير مناهج وأدوات وأطر نظرية ، وقد أثّرت مشكلات جديدة في حقل تعليم اللّغات ووضعت عدّة دراسات عن تعليم اللّغة من خلال ثلاثة مجالات تعتبر فروعاً للّسانيات ⁽¹⁾ ، كاللّسانيات العامة التي يتم فيها تدريس التلميذ قواعد تركيب الجمل ومفردات المعجم وأصوات اللّغة ، وغير ذلك من مستويات اللّغة ومراتبها ، وعلم النفس الذي يدرس مسألة اكتساب اللّغة وتعلّمها ، وآليات التحصيل اللّغوي الذي يدرس قضية استعمال اللّغة وقواعد التواصل اللّغوي .

¹ ينظر : عبد الرحمان بودرع ، اللغة بين الخطاب العلمي والخطاب التعليمي ، مجلة الموقف ، العدد 08، سنة 1988 م ص:23.

الاتجاهات اللسانية الحديثة : (1)

تميّز القرن ٢٠ في مجال البحث اللساني بالمراهنة على اتجاهين أساسيين :

أولهما : يستند إلى **سوسير** في أوروبا و **بلومفيلد** في الولايات المتحدة الأمريكية فقد انتقدا النحو التقليدي ، ودحضا أولوياته المعيارية ، وحاولا بناء نموذج جديد لوصف اللغات .

ثانيهما : استند إلى **تشومسكي** بأمريكا في الخمسينات ؛ حيث بنى نموذجاً للغة يقوم على انتقاد طموحات ومنهجيات البنيوية ، ويتجاوز وصف اللغة إلى التفسير .

ولعلّ هذا التصنيف يقوم على فكرة أنّ الاتجاه الأول يقتصر في الأغلب على جمع المعطيات اللغوية وتصنيفها في مختلف المستويات (الأصوات ، الصرف ، التركيب) معتمداً مبدأ التقطيع والمعاقبة .

في حين أنّ التيار اللساني الثاني يتجاوز وصف الظواهر اللغوية إلى تفسيرها وردها إلى نظرية عامة تتضمن العناصر المتحركة في تعلّم اللغة ، هذا المعيار في تصنيف التيارات اللسانية المعاصرة ، وإن ظلّ وارد لم يعد وحده كافياً للتمييز بين مختلف النظريات اللسانية التي نلاحظ أنّها تكاثرت في السنوات الثلاثين الأخيرة سواء داخل إطار النحو التوليدي التحويلي أو خارجه .

الاتجاه البنيوي :

تعدّ الأبحاث التي قدّمها **ف.دي سوسير** ما بين (1906-1911) من أهم الدراسات اللسانية البنيوية ، إذ أنّه كان أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية تبحث في نظامها وقوانينها دونما الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية .

وتتمثل الإضافة الأهم⁽²⁾ ل **دي سوسير** فيما قرره - على نحو واضح ومتكرر - من وجود ارتباط جوهري بين كل الوحدات المؤلفة لبنية اللغة ، ولم يسبق لأحد قبله أن أكّد اتسام اللغة بهذه الظاهرة.

¹ ينظر : علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط01، 1998م ، ص

وكذا لم يُعَنَّ الدارسون قبله بإنجاز دراسات جادة ، تستكشف العلاقات التي تربط بين كل وحدة لغوية ، وسائر الوحدات الأخرى داخل بنية اللغة .

وكان **دي سوسير** أول من شبّه اللّغة بلعبة الشطرنج من حيث أنّ كل منهما يمثل نظاماً يتألف من وحدات مختلفة ، تكتسب هويتها ودورها من خلال علاقة كل منهما بالأخرى ، وقد أفضى إصراره على تقرير أنّ اللّغة نظام أو- بنية **Structure** محكمة التشييد من العناصر المتواشجة فبدأ بذلك عصر ما يعرف باللسانيات البنيوية **Structural linguistic** .

وأبرز ما يميّز اللّسانيات السويسرية أنّها :

1- لسانيات وصفية تقف عند حدود ملاحظة الظواهر اللغوية ووصفها .

2- لسانيات سانكرونية تهتم بوصف اللغة في حالتها الثابتة .

3- لسانيات تعطي الأسبقية للمنطوق من اللغة على المكتوب .

4- لسانيات تهتم بالنسق اللغوي ، فلا قيمة للعنصر خارج النسق .

إنّ اللساني لا يهتم بالمرجع (المدلول عليه) الموجود في الواقع ؛ أي **le Référent** والذي يحيل على العنصر المحسوس المادي ، بل إنّ اهتمامه منصّب على المدلول (المفهوم) ، وعليه فالدليل اللّساني عند **دي سوسير** ما يربط بين (المفهوم) والصورة الصوتية التي تشير إليه ، وهو يتكوّن من أمرين هما : (1)

أ- الدّال **Le signifiant** وهو مجموعة الأصوات القابلة للتقطيع .

ب- المدلول **Signifié** وهو المفهوم أو المعنى الذي يشير للدّال .

«إذاً فالعملية التواصلية تتم وفق الطريقة التالية :

² ينظر : جين إتشيسن ، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات ، ترجمة : عبد الكريم محمد جبل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، سنة 2016م ، ص 74.

¹ ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط01، سنة 2004، ص 13.

هناك مفهوم يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي ، فلنسمّه المرجع أو المدلول عليه ، ثم يقوم المتكلم باستشارة معلوماته المخزنة في ذاكرته ؛ أي يقوم بتشغيل نظامه اللّغوي الذاتي ذي الطابع الداخلي لأجل اختيار المفهوم أي المدلول المطابق لذلك المرجع ، ثم يربط المدلول بالصورة الصوتية المادية المتجانسة له أي المفهوم ، والتي ورثها من مجتمعه أي من التمثيل الثقافي الحضاري المخزون في ذاكرة الجماعة الناطقة « (1).

فاللغة عمل جماعي موجود في ذهن المتكلمين بكيفية اعتباطية لا شعورية إنّها مجموع الأصوات والدلالات المخترنة في ذاكرتهم ، وأمّا الكلام فهو الممارسة الفردية الذاتيّة لهذه اللغة في ظروف مادية؛ أي هو طريقة تجسيد المتكلمين لهذا النظام اللغوي وبناء على هذا التعريف ، فاللّسان يعدّ موضوع اللّسانيات لا الكلام ذي الطابع الفردي.

ومن المفاهيم الأساسية التي اعتمدها سوسير مفهوم القيمة ، وهو الوجه الآخر للعلامة ، فإذا كانت العلامة في طبيعتها اعتباطية فإنّ وظيفتها داخل النسق لا تتحدد إلّا من خلال ما يجاورها من علامات .

وقد كان لتصورات سوسير اللغويّة أثر بالغ في تطور الدرس اللّساني المعاصر ؛ حيث انبثق عنها علوم جديدة كالسيمولوجيا والسيميوطيقا ، وعلم الدلالة البنيوي ، والفونولوجيا الوظيفية كما كان لها أثر على تعليم اللغات وتعلمها في مجالات متعددة (2) .

لقد توصل دي سوسير من خلال دراسته للغة إلى أنّ اللّغة نظام قائم بذاته في فترة زمنية محددة ، وهو من ناحية أخرى تطور تاريخي ، وقد رأى أنّه لبناء هذا التّصور يمكن التمييز بين منهجين للدراسة اللّغوية أو اللّسانية (3).

المنهج الأول : ويسمى بالمنهج التاريخي أو التطوري ، ويهتم بتتبع التحولات والتغيرات التي تطرأ على الظاهرة اللغوية عبر الحقب الزمنية المختلفة وتفسير أسباب هذه التحولات .

¹ المرجع نفسه ، ص 13.

² ينظر : علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، ص 32، 33.

³ ينظر : نصر الدين بن زروق ، محاضرات في اللسانيات العامة ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، ط01، سنة 2011م ، ص

المنهج الثاني : وهو المنهج الوصفي أو الآني هو الذي يدرس اللغة من جميع جوانبها ، أو من جانب واحد أو أكثر في فترة زمنية محددة .

وقد بقيت هذه المبادئ الكبرى للسانيات البنيوية دون أن تؤثر أثراً واضحاً في مجال تعليم وتعلّم اللغات بسبب الاقتصار على الطرق التقليدية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وظهور لسانيين خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

الاتجاه السلوكي :

ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية علماء كل من ساير Edward Sapir وبلومفيلد Leonard Blomfield و سكندر BF Skinner الذين جمعوا بين علم اللغة وعلم النفس في تطبيق الأبحاث اللسانية في مجال تعليم اللغة وتعلمها نظرياً ومنهجياً منتقدين بذلك علم النفس الكلاسيكي وكان هؤلاء الباحثون يصدرن أبحاثهم بالاستناد إلى أسس نظرية نابعة من تصور فلسفي وهو الدراسة السلوكية .

وتشمل مجموعة النظريات السلوكية فئتين من النظريات هما :

«**الفئة الأولى :** النظرية الارتباطية وتضم نظرية إيفان بافلوف في الاشتراط الكلاسيكي ، وآراء جون واطسون في الارتباط ، ونظرية أدون جاثري في الاقتتان وكذلك نظرية وليام ايستس ؛ حيث تؤكد هذه النظريات على أنّ التّعلم هو بمثابة تشكيل ارتباطات من خلال الاقتتان بين مثيرات بيئية ، واستجابات معينة ، وتختلف فيما بينها في تفسير طبيعة الارتباط وكيفية تشكّلها .

الفئة الثانية : النظريات الوظيفية وتضم نظرية " إدوارد ثورن ديك " نموذج المحاولة والخطأ ، و " كلارك هل " نظرية الحافز ، ونظرية " بروس أف سكر " التّعلم الإجرائي ، إذ تؤكد على الوظائف التي يؤديها السلوك مع الاهتمام بعملية الارتباط التي تتشكّل بين المثيرات والسلوك (1).

وتعتبر سيكولوجية التّعلم من أهم فروع علم النفس ذلك لأننا إذا أردنا أن نفهم السلوك ، والفرق بين المظاهر المختلفة يجب أن نفهم أولاً كيف تتكون الاستجابات التي تختلف من موقف إلى آخر ، ومن حالة إلى أخرى ، والعوامل والمتغيرات التي تحكم المواقف السيكولوجية بوجه عام .

¹ عماد الزغلول ، نظريات التّعلم ، دار الشروق ، عمان ، سنة 2006م ، ص 44.

وتعتبر اللغة وهي سلوك متعلم الخاصية الرئيسية التي تضع الإنسان في مستوى تمييز بين باقي الكائنات الأخرى ، وفي الحقيقة يتعلم كيف يكون إنساناً ، وفي مستوى آخر من مستويات السلوك نجد أنّ أغلب ميولنا و اتجاهاتنا آرائنا و معتقداتنا ، وخصائص سلوكنا متعلمة ؛ أي أننا نتعلم كيف نكون أفراداً متميزين فيما بيننا (1) .

ولذلك فإنّ مبادئ وأسس عملية التعلم يساعد مساعدة كبيرة في فهم كثير من استجابات الأفراد في مواقف السلوك المختلفة .

فالتعلم هو سلسلة من التغيرات في سلوك الإنسان ، وهنا يجب أن نميز بين التعلم وبين التقدّم أو استمرار التحسن المفيد ، وقد يكون تقدّماً أو تراجعاً شأنه في ذلك كثير من العمليات الأخرى ، وهو عملية تكيّف الاستجابات لتناسب المواقف المختلفة ، فالتعلم جوهري للوجود الإنساني وأساسي للتربية (2) .

والملاحظ أنّ هذه المدرسة تركّز اهتمامها بالأساس على السلوك لأنّه يخضع للملاحظة والتجربة العلميين ، وتخرج كل الأمور المتعلقة بالحياة الداخلية للإنسان ، وبناء عليه سيقصر اهتمامهم على وصف السلوك اللغوي الظاهري الذي يمكن ملاحظته بالحواس ، واعتبروا أنّ عملية اكتساب اللغة تندرج ضمن إطار نظرية التعلم .

وبالرغم من أنّ سكينر تعرض لعملية الاكتساب اللغوي أكثر من البناء اللغوي ، وبذلك نجد أنّ هذا العالم اهتم بما يسمى بالوصف الوظيفي للسلوك اللغوي ، ومثل هذا الوصف يتمحور حول الكيفية التي من خلالها تعمل الاستجابات اللغوية ، وينطوي هذا الوصف على تحديد الشروط التي تستعمل ضمن نطاقها الاستجابات اللغوية ، وما يترتب عليها من نتائج .

وعموماً فإنّ سكينر ينظر إلى السلوك اللغوي على أنّه سلوك آخر ، وهو بمثابة ارتباطات تتشكل بين مشيرات واستجابات تقوى أو تضعف وفقاً لعمليات التعزيز والعقاب ، ويرى أنّ مثل هذا السلوك يتم تعلمه من خلال النمذجة والمحاكاة وما يترتب عليها من عمليات تدعيم من قبل الآخرين أو وفقاً لمبدأ المحاولة والخطأ فالسلوك اللغوي هو مجرد سلاسل من الارتباطات بين المشيرات

¹ ينظر : أنور محمد الشرقاوي ، التعلم نظريات وتطبيقات ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 2012م ، ص 14 .

² ينظر : مصطفى ناصف ، نظريات التعلم ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، سنة 1990م ، ص ص 17 ، 18 .

والاستجابات بحيث تشكل كل مفردة مثيراً لتحديد المفردة الأخرى لتحديد المعنى أو الهدف المقصود منها (1).

وبذلك فإنّ تعليم اللغة وتعلمها سيصبح قائماً على خلق آليات لغوية لدى المتعلم عن طريق تعلم جمل جاهزة قد تستجيب لمثيرات في مواقف معينة ، وتتم عملية التعلم عبر وضع المتعلم في مواقف شبيهة بالمواقف الطبيعية حيث تختبر ردود فعله وتدعم بواسطة مبدأ التكرار القائم على المثير **Stimulus** والاستجابة **Réponse** ، وقد استفادت بعض الطرق البيداغوجية في تعليم اللغة من هذا التصور السلوكي ، واسترشدت به من خلال : (2)

1- التركيز في دراسة اللغة على الجانب الشفوي بالدرجة الأولى .

2- التركيز على اللغة الحية لغة الحديث الفعلية في فترة محددة .

3- الاهتمام بظاهرة اللغة أدى بالمدرسين إلى الاعتماد على الطريقة السمعية الشفوية في تعلم اللغة والقائمة على المثير والاستجابة والتدعيم .

ويبدو أنّه في العمق لم يوجد عند السلوكيين أي نظرية خاصة بتعلم اللغة ؛ بل إنّ ما لديهم لا يتعدى بضع تطبيقات للنظريات في ميدان تعلم اللغة ، كما في الميادين الأخرى كالعلاج النفسي ، وقياس الذكاء والإرشاد المهني وغيرها ... وبذلك وجدت اللسانيات نفسها قد حصلت في مجال لتطبيق أدواتها الإجرائية وتمحيص مدى مصداقية فرضياتها وهو مجال البيداغوجيا ، ورغم ذلك فقد كان لها تأثير في تطور بعض الممارسات التعليمية التعلمية سواء في تعلم القراءة والحساب والخط ، وعلاج الإفراط في الخوف من الامتحانات وتعليم المتأخرين عقلياً (3).

الاتجاه التوليدي التحويلي :

تعتبر النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي 1928م تطوراً لبعض المفاهيم التي تم تحديدها في الدراسات السابقة ونقداً للأسس النظرية السلوكية .

¹ ينظر : عماد عبد الرحيم زغلول ، نظريات التعلم ، ص 109.

² ينظر : علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، ص 34 .

³ ينظر : المرجع نفسه ، ص 34.

إنّ النحو التوليدي لم يعدّ محاكياً للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف ؛ لأنّه لا يرمي إلى تحديد المعايير التي تمكن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالاً سليماً دون أخطاء ، بل إنّ النحو عنده هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم الراسخة والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته والتي تمكنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى ، كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها بعد ، ومن هنا يصبح نحو تشومسكي توليدياً .

إنّ النحو عنده ليس المعرفة غير الواعية بقواعد اللغة فحسب ؛ بل إنه القدرة على اكتشاف هذه القواعد ووصف اللغة بواسطته .

وعلى هذا فالنحو التوليدي هو : « نظام من القواعد التي تقدّم وصفاً تركيبياً للجمل بطريقة واضحة ، وأكثر تحديداً ، وهذا هو المراد بالنحو التوليدي ، وكل متكلم تكلم لغة يكون قد استعملها واستبطن نحواً توليدياً ، وهذا لا يعني أنّه على وعي بالقواعد الباطنية التي يكون قد استعملها ، أو سيكون على وعي بها ، إنّ النحو التوليدي يهتم بما يعرفه المتكلم فعلاً وليس بما يمكنه أن يرويه من معرفته » (1).

مبادئ النحو التوليدي : (2)

1- التوليد : هو القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقاً من العدد المحدود من القواعد في لغة ، وفهمها ثم تمييزها عمّا هو غير سليم نحويّاً .

2- الملكة والتأدية : إنّ الملكة هي معرفة المتكلم السامع للغته ، وأمّا التأدية فهي الاستعمال الفعّال للغة في مواقف مادية واضحة ، وإنّ نحو أي لغة يفترض أن يكون وصفاً للملكة الذاتية الأصلية للمتكلم السامع المثالي .

3- الإبداعية : إنّ الإبداعية هي استعمال لنظام اللغة استعمالاً ابتكارياً تجديدياً لا مجرد تقليد سلبي لقواعده ، إنّها تتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل ، انطلاقاً من العدد المحدود من الكلمات ، والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم .

¹ شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 41

² ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 44 ، 51.

4- النحوية : الجملة تكون نحوية في لغة ما إذا كانت جيّدة التركيب ، وتكون غير نحوية إذا انخرفت بطريقة أو بأخرى عن المبادئ التي تحدد نحوية هذه اللغة ، وبالتالي نظرية النحو لا يقتصر هدفها على مجرد التمييز بين ما هو نحوي وغيره ، بل إنها تصبو إلى محاولة تصحيح غير النحوي انطلاقاً من نظامها اللغوي ، وهذه ميزة تضطلع بها دون غيرها .

5- الحدس : نسمي مقدرة متكلم اللّغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث أنّها تؤلف جملة صحيحة ، أو جملة منحرفة عن القواعد اللغوية بالحدس اللغوي.

6- ظاهرة الغموض : ترتبط هذه الظاهرة بالمجانسة في البناء ، فالجملة الواحدة قد يكون لبنائها الخارجي معنيان متمايزان ، إنّ هذا الأمر هو الذي دفع تشومسكي إلى البحث عن البنية الأصلية للتركيب النووي لكل جملة منطوقة أو مكتوبة ، وبذلك يتسنى استيعاب معناها .

7- البنية العميقة والسطحية : ⁽¹⁾ لقد وضع تشومسكي هذين المبدئين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتها .

أ- البنية العميقة : هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً ، وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة ، إنّها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي **L'interprétation Sémantic**.

ب- البنية السطحية : فهي تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة ، إنّها التفسير الصوتي للجملة **Son interprétation phonétique**.

8- مفهوم التحويل : La transformation

عملية نحوية تجري على سلسلة تملك بنية نحوية وتنتمي إلى سلسلة جديدة ذات بنية نحوية مشتقة ، إنّها علاقة تربط بين تمثيلين ؛ تمثيل أولي مجرد هو البنية العميقة ، وتمثيل مشتق نهائي هو البنية السطحية .

¹ ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص ص 52، 60.

فأية قواعد تعطي لكل جملة في اللغة تركيباً باطنياً ، و تركيباً ظاهرياً ، و تربط التركيبين بنظام خاص يمكن أن تكون قواعد تحويلية ، ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف ، فالربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التحويل .

9- النحو الشكلي : إنّ النحو التحويلي مبني على أسس وقواعد شكلية أكثر تجريداً ، وذلك من خلال اعتماده في أثناء العملية الاشتقاقية للجملة على رموز تجريدية ، وعلاقات رياضية تبدو وكأنها عمليات حسابية مثل (الاحتواء ، الانتماء ، التقاطع ، اللوغاريتم...) ، وإنّ سبب هذا المنهج الشكلي **Formel** هو تأثير التطور العلمي وبخاصة علم البرمجة على الدراسات اللغوية ، ولقد كان تشومسكي حريصاً على بلوغ هذا المأرب ، وإنّ هذا الحرص هو الذي دفعه إلى اعتماد الأسس الرياضية الذهنية حتّى تكون نتائج أبحاثه أكثر دقة وعلمية لا تشوبها الاحتمالات ، وبذلك يتسنى للنظرية اللسانية تفسير وتحليل جل العلاقات المعقّدة التي تحكم اللغات البشرية المتنوعة .

10- النحو العالمي Grammaire universelle أو العام Grammaire générale

يمثل المنحى الجديد الذي أخذت تنحوه النظرية اللسانية التشومسكية إذ لم تعد تهتم بإبراز خواص اللغات البشرية وأنظمتها ، وكيفية توليد اللانهائي من النهائي ؛ بل إنّ هدفنا - ها هنا - صار عن الأسس المشتركة و العامة بين هذه اللغات من أجل إثراء وإكمال النحو الخاص بكل لغة لتصبح النظرية اللسانية نموذجية تعكس الملكة اللسانية الكاملة ⁽¹⁾ .

إنّ أهم ما قدمته نظرية النحو التوليدي التحويلي أنّها ⁽²⁾ نظرية عقلانية بنت النحو على فرضيات ابستمولوجية تتسم بالمرونة ، كما أنّها نبّهت إلى الإبداعية والقدرات الفردية للإنسان في اكتسابه للغة ، واهتمت باكتشاف الحقيقة العميقة الكامنة تحت السلوك الفعلي ، وأتاحت البحث في مسائل مطلقة كالنظام التجريدي للغة ، والكليات اللغوية ونظريات المعنى ، وطبيعة المعرفة الإنسانية ، وقد تغيرت جوانب كثيرة من هذه النظرية وتطورت ، كما أنّها تعرضت لانتقادات عديدة لكن إطارها الفلسفي العام بقي ثابتاً ، وبرزت نظريات لغوية أخرى تحاول مقارنة اللغة من زوايا مختلفة .

¹ ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص ص 60 ، 64.

² ينظر : علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، ص 37

الدرس السابع

القدرة اللغوية والقدرة التواصلية

الدرس السابع : القدرة اللغوية والقدرة التواصلية

القدرة التواصلية

فاللغة إذن بنية وأداة في ذات الوقت، ومن المبادئ كذلك :¹

2- يسعى النحو الوظيفي إلى تكوين نظرية لسانية وظيفية، فكل اللغات الطبيعية تتعالق بنياتها، وكل منها يعبر عن خصائصه البنيوية الخاصة .

3- تستهدف اللسانيات وصف القدرة التواصلية **La compétence communicative** المتكلم والسامع .

وتتكون القدرة التواصلية المتوفرة لدى مستعملي اللغات الطبيعية من خمس ملكات على الأقل وهي:²

أ- الملكة اللغوية : تمكن الملكة اللغوية مستعمل اللغة من أن ينتج ويؤول إنتاجًا وتأويلًا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة ومعقدة جدًا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة .

ب- الملكة المنطقية : بفضلها يستطيع مستعمل اللغة على إعتباره مزودًا بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي .

ج- الملكة المعرفية : تمكن مستعمل اللغة من تكوين رصيد من المعارف المنظمة وبفضلها يستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يحتزن هذه المعارف في الشكل المطلوب وأن يستحضرها في تأويل العبارات اللغوية .

¹ ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات البيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي، ص : 50.

² ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص : 16.

د- الملكة الإدراكية : بواسطتها يتمكن من إدراك محيطه، وهو يستطيع أن يشتق من هذا الإدراك معارف يستخدمها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها .

هـ- الملكة الاجتماعية¹:

فيها يتوسل مستعمل اللغة لمعرفة وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطباً معيناً في موقف تواصلية معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة .

4- يدرس النحو الوظيفي التركيب والدلالة في إطار التداول فهو ليس قالباً مستقلاً عن القلب النحوي يتفاعل معه حين الانجاز إنتاجاً وتأويلاً وإنما هو جزء منه ويفهم من هذا المبدأ أنّ الثنائية المعروفة (قدرة إنجاز يجب إعادة تعريفها).

فقدرة المتكلم حسب منظور النحو الوظيفي قدرة تواصلية بمعنى أنّ معرفة القواعد التداولية بالإضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية هي التي تمكن من إنجاز طبقات مقامية معينة .

وقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة في إطار السعي إلى تحقيق الكفاية التداولية يقترح النحو الوظيفي بنية للنحو تُفرد مستوى تمثيلاً مستقلاً للوظائف التداولية (كوظيفة المبتدأ، المحور، البؤرة)، إذاً فبنية النحو كما يقترحها النحو الوظيفي تشتمل على مستويات تمثيلية ثلاثة²:

مستوى التمثيل الوظائف الدلالية : وظيفة المنفذ، المتقبل، المستقبل، المستفيد

مستوى تمثيل الوظائف التداولية : كوظيفة المبتدأ، المحور ...

مستوى تمثيل الوظائف التركيبية : كوظيفة الفاعل، المفعول .

5- يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق كفايات ثلاث وهي :

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص : 17، 18.

² ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات البيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي، ص : 50.

أ- الكفاية التداولية .

ب- الكفاية النفسية .

ج- الكفاية النمطية .

فهي تعتبر من ضوابط الوصف لنظرية النحو الوظيفي ويتم على ضوءها المفاضلة بين مختلف النماذج التي يمكن أن تفرزها .

1- الكفاية التداولية : عرّف ديك هذه الكفاية سنة 1989، فيقول : "نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها العبارات وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكّن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي"¹.

وفحوى هذا التعريف أنّه يعوّل على أهميّة السياق فالعبارات لا يمكن أن تستعمل كذوات منعزلة بل تستعمل كأدوات داخل سياق تحدد معناه العبارات السابقة، ويقاس إدماج النحو الوظيفي في نظرية تداولية وحتى تتم الاستجابة لهذا الضابط ثلاثة شروط أساسية هي:²

أ- يجب التمثيل لكل الخصائص التداولية للعبارات اللغوية كالخصائص الوجهية والخصائص الإنجازية والوظائف التداولية التي تحملها مكونات العبارة .

ب- يجب أن يمثل لهذه الفئة من الخصائص داخل النحو ذاته (أي بالنسبة للصورة الحالية للنحو الوظيفي داخل قالب النحوي) لا خارجه .

¹ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 19.

² ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 20.

ج- يجب أن يكون المستوى الذي يمثل فيه لهذه الخصائص سابقاً من حيث مراحل اشتقاق العبارة على المستوى الذي تحدد فيه الخصائص البنيوية على اعتبار أن الخصائص الثابتة تعكس الخصائص الأولى، ومن الملاحظ أن منظري النحو الوظيفي يسعون باستمرار لتحقيق هذه الشروط الثلاثة بإغناء التمثيل للخصائص التداولية وصوره ما كان منها يستعصي الصورة .

2- الكفاية النفسية: يعتبر النحو نحواً كافياً نفسياً إذا كان بإمكانه أن يعكس النماذج النفسية للقدرة اللغوية وللسلوك اللغوي ويتأطر ذلك في اتجاهين¹:

1- الاتجاه الأول: وهو اتجاه الإنتاج حيث تحدد الطريقة التي يبني بها المتكلم العبارة اللغوية ويصوغها .

2- الاتجاه الثاني : وهو اتجاه الفهم؛ حيث الطريقة التي يحلل بها المخاطب العبارة اللغوية ويقوم بتأويلها التأويل الملائم، وعلى هذا النحو فهو يستجيب لأمرين اثنين حتى يحصل على الكفاية النفسية .

أ- أن يقصي من أولوياته ما ثبت عدم واقعيته النفسية وذلك كالقواعد التحويلية مثلاً، وقد بُني النحو الوظيفي منذ البداية (ديك 1978) على أساس عدم استخدام هذا الصنف من القواعد في أي مرحلة من مراحل اشتقاق العبارات اللغوية .

ب- بناء وصياغة النحو على أساس تضمنه لجهازين اثنين، جهاز توليد "مولد بمصطلح الحاسوب" وجهاز تحليل " محلل"، وقد قدمت إقتراحات في إطار هذا الباب في إطار حوسبة النحو الوظيفي ديك، وكنولي 1989، وكاهل 1992؛ حيث أضيف في القلب النحوي إلى جهاز التوليد الذي يضطلع بإنتاج العبارات جهاز يقوم بالوظيفة العكسية حيث يمكن من إرجاع العبارات المتحققة إلى بياناتها التحتية .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 20.

3- الكفاية النمطية : يمكن للنحو أن يحصل الكفاية النمطية؛ حيث أنه يستطيع أن يبيّن أوصافاً للغات تنتمي إلى أنماط مختلفة وأن يرصد في الوقت ذاته ما يؤلف بين هذه اللغات المتباينة نمطياً وما يخالف بينها وللاستجابة إلى ما تقتضيه النمطية ككفاية فهي تخضع لشرطي¹:

- شرط التجريد والملموسية : يتعيّن على النظرية الرّامية على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تصوغ مبادئها وقواعدها وتمثيلاتها متوخيةً توسطاً بين التجريد والملموسية يؤهلها لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية دون الإخلال بضبط تحققات الوقائع اللغوية داخل كل لغة .

فهذه الكفاية تطوّر النظرية باعتبارها تستوجب معالجة معطيات مستمدة من عدّة لغات، وتختبر إنطباقية فرضياتها على معطيات نابعة من لغات أخرى .

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص : 21.

الدرس الثامن

نحو الجملة ونحو النص

الدرس الثامن: نحو الجملة ونحو النص

نحو الجملة ونحو النص:

وتسند الحال الإعرابية في إطار النحو الوظيفي - وفي إطار كلّ نحو يعتمد افتراض أولوية الوظائف - طبقاً للوظيفية المسندة إلى الحد في مستوى البنية الوظيفية .

وبما أنّ الحدّ الواحد يمكن أن يحمل وظيفة واحدة "وظيفة دلالية أو وظيفيتين إثنين" وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية أو ثلاث وظائف وظيفية دلالية، وتركيبية، ووظيفة تداولية .

يجدر التساؤل عن أي هذه الوظائف تحدد الحالة الإعرابية التي تسند إلى الحدّ؟

بصفة عامة تتفاعل الوظائف الثلاث جميعها في تحديد الحالات الإعرابية إلّا أنّ هذا التفاعل يختلف من لغة إلى لغة .

سُلمية تحديد الإعراب في اللغة العربية الفصحى :¹

الوظائف التركيبية، الوظائف الدلالية، الوظائف التداولية، ومفاد هذه السلمية ما يلي :

1- إذا كان المكوّن لا يحمل إلّا وظيفة تداولية فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية التي تحوّلها إليها وظيفته التداولية نفسها، ويصدق هذا على الوظائف التداولية الخارجية كوظيفة المنادى ووظيفة المبتدأ ووظيفة الذيل .

نحو : الأطفال ناموا منذ ساعة .

الكتابُ قرأته مرات متعددة .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص : 164.

فالمكوّن المبتدأ مثلاً باعتباره خارجاً عن الحمل ذاته وغير حامل بالتالي لوظيفة دلالية ولا تركيبية يأخذ الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التداولية "المبتدأ" نفسها .

2- إذا كان المكون منتمياً إلى الجمل ذاته وكان لا يحمل وظيفة دلالية فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية النَّصب التي تحوِّله إياها وظيفته الدلالية ذاتها أو الجرّ .

نحو :

- عادت سعاد من الحقل مساءً.

- وقف خالدٌ إحتراماً لأبيه .

3- حين تتوارد على المكوّن الواحد وظيفتان إثنان، وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية، أو ثلاث وظائف، دلالية، تركيبية، تداولية فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته التركيبية أيّاً كانت وظيفته الدلالية أو التداولية .

نحو : فاز الطالب المجتهد .

تُتخذ هذه البنية دخلاً لقواعد إسناد الإعراب حيث تسند إلى المركّب "الطالب المجتهد" الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل .

2- قواعد صياغة المحمول¹:

يتم صوغ المحمول عن طريق إجراء مجموعة من القواعد يصطلح على تسميتها "قواعد صياغة المحمول وتضطلع هذه القواعد بنقل المحمول من صورته المجردة إلى صياغة صرفية تامة .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص: 167.

ويوجد في النحو الوظيفي صرفان: "صرف إشتقاق" و"صرف تصريفي" يتموقع النوع الأول من الصرف في مستوى الأساس، في مستوى "قواعد تكوين المحمولات" بصفة أدق؛ حيث يتم إشتقاق محولات فرعية من محمولات مفترض فيها أنّها أصول، وفي هذا المستوى يتم إشتقاق مفردات مصوغة على أوزان تعدّد حسب معايير معينة أوزاناً أصولاً كالأوزان الثلاثة فَعَلَ - فَعِلَ - فَعَّلَ .

وهذه المميزات لا يتم تحديدها إلاّ في مستوى البنية المكوّنة بواسطة النوع الثاني من القواعد الصرفية "قواعد الصرف التصريفي وبخاصة قواعد صياغة المحمول .

بناءً على ما تم ذكره تتكفل قواعد صياغة المحمول من المعلومات الواردة في البنية الوظيفية حول مخصّص المحمول الصيغي -الجهي الزمني بإعطاء الصيغة الصرفية التامة للمحمول المجرد فيأخذ المحمول الفعل صيغة الماضي أو صيغة المضارع مجردتين كما في الجملتين .

- باعت هند سيارتها .

- يكتب خالد كتاباً في النحو .

- إدماج مؤشر القوة الإنجازية :¹

إنّ المكونات التي تنصدر الحمل التي تحتل موقع الصدارة المطلقة في الحمل نماط ثلاثة :مكونات حدود، ومؤشرات القوة الإنجازية، ومعلقات دوامج .

ويتممي إلى النمط الأول أسماء الاستفهام التي تعدّ في النحو الوظيفي حدوداً كباقي الحدود إلاّ أنّها تحتل عادة صدر الحمل، نحو :

- من جاء البارحة ؟ .

- ماذا قدّم محمد لمصطفى .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص : 171.

- متى إمتحاننا ؟

- كيف كانت نهاية القصة .

وتنتمي إلى النمط الثاني من المكونات الأدوات التي تؤدي وظيفة التأشير للقوة الإنجازية المواقبة للحمل، ويشمل هذا النمط في اللغة العربية أداتي الاستفهام : "الهمزة"، "هل"، والأداة الدالة على الاستفهام الإنكاري "أو" بفتح الواو، الأداة إنَّ بكسر الهمزة، أما الأدوات المعلقة الدّاجة فإنّها الأدوات التي تستخدم للربط بين جملتين مدمجة ثانيتها في أولاهما كأداة أنّ، والضمائر الموصولة (الذي، ما، من...) .

المثال التطبيقي :

- هل قدم محمد ؟ - هل قدم أحمد أم لا ؟

- أ قدم محمد ؟ - أ قدم أحمد أم لا ؟.

تظهر الأداة "هل" في الحمل ذي القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام والحامل باعتباره كلاً من الوظيفة التداولية بؤرة الجديد في حين أنّ الأداة الهمزة تظهر في الحمل ذي القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام والحامل باعتباره كلاً من الوظيفة التداولية بؤرة المقابلة أو المتضمّن لحدّ حامل هذه الوظيفة

قاعدة إدماج المتوكّل :¹

إدماج "هل" :

دخل : [سه] Ø (س¹)..... (س^ن) [بؤ جد] .

خرج : [هل] Ø (س¹)..... (س^ن) [بؤ جد] .

¹ ينظر : أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص: 173.

إدماج الهمزة :

دخل: أ [سهـ] Ø (س¹) (س^ن) [بؤ مقأ] .

ب [سهـ] Ø (س ع) [بؤ مقأ] .

ملاحظة :

بعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية تصبح البنية متضمن جميع مكوناتها إلا أنّ هذه المكونات تظل غير مرتبة الأمر الذي يقتضي إجراء مجموعة أخرى من قواعد التعبير " قواعد الموقعة " .

4- موقعة المكونات :¹

تفاعل في تحديد رتبة المكونات حسب النحو الوظيفي الوسائط الثلاثة : الوظائف التركيبية، الوظائف التداولية، درجة التعقيد المقولي للمكونات ويخضع لهذه النزوعات :

- نزوع المكونات الحاملة للوظائف نفسها إلى إحتلال المواقع نفسها .
- نزوع المكونات إلى إحتلال الموقع الصدر في الحمل (الأدوات المؤشرة للقوة الإنجازية والأدوات الدامجة والمكونات المحاور والبؤر).
- نزوع المكونات الأكثر تعقيداً إلى التأخر عن المكونات الأقل تعقيداً؛ حيث ينزع المركب الإسمي إلى أن يتأخر عن الضمير وحيث تنزع الجملة المدججة إلى أن تلي المركب الإسمي .

مثال (1):

بناءً على هذه الاتجاهات يقترح النحو الوظيفي بنية رتبّة عامّة تعكس المكونات في جمل اللغات الطبيعية طبقاً لوظائفها التركيبية والتداولية على النحو الآتي :

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص :174.

(204) م² م¹ (ف) فا (ف) مق (ف) م³.

الشرح :

الموقع في البنية (204) صنفان : مواقع داخلية (م¹ و ف و فا و مق) .

وموقعان خارجيان (م² و م¹) يخصص الموقع م¹ للأدوات الصدور أو للمكونين المحور والبؤرة في حين تخصص المواقع الثلاثة ف و فا و مق للفعل والفاعل والمفعول بالتالي، أما الموقعان م² م³ فإنهما يخصصان للمكونين الخارجيين عن الحمل؛ المكون المبتدأ، والمكون الذيل .

إسناد النبر والتنغيم :¹

ذكر أحمد المتوكل في كتابه اللسانيات الوظيفية مدخل نظري أنّ القطاع من القواعد لم يحظ بما حظيت به القطاعات الأخرى من التوضيح والصورة لذلك إكتفى بإيراد ما يلي عن قواعد إسناد النبر والتنغيم .

- يسند النبر المركزي في الجملة إلى المكون الحامل لوظيفة التداول البؤرة سواء أكان حاملاً لبؤرة الجديد، أم كان حاملاً لبؤرة المقابلة .

- الذي يحدد تنغيم الجملة هما : القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة معاً .

- تجرى قاعدة إسناد التنغيم وفقاً لمخصص الحمل أي لمؤشر قوته الإنجازية أو لمؤشري قولية الإنجازيتين .

- بإجراء قاعدتي الإسناد والتنغيم نحصل على بنية مكونية تامة التحديد ممكناً أن تشكل دخلاً للقواعد الصوتية التي تنقلها إلى جملة محققة .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص : 180.

الدرس التاسع

البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية ، الوظيفة)

الدرس التاسع : البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية ، الوظيفة)

البنية في النحو الوظيفي

فبناء البنية الحملية للجملة يتم حسب النحو الوظيفي عن طريق تطبيق قواعد توسيع الأطر الحملية التي تتخذ خلالها الأطر النووية الموجودة في المعجم أو المشتقة¹ عن طريق قواعد تكوين المحمولات ثم تطبيق إدماج الحدود .

البنية الوظيفية : تنتقل البنية الحملية إلى بنية وظيفية بواسطة إجراء مجموعتين من القواعد :

أ- قواعد إسناد الوظائف .

ب- قواعد تحديد مخصص الحمل .

وقواعد إسناد الوظائف تشتمل على ثلاثة أنواع : الوظائف الدلالية، والتركيبية، والتداولية .

أما قواعد تحديد مخصص الجمل : فهو القوة الإنجازية التي تواكبه نحو : القوة الإنجازية في هذه الجمل هي :

- قرأ محمد كتاباً مفيداً (الإخبار) .

- هل رأيت مصطفى (السؤال) .

- أنجز واجباتك (الأمر) .

وتعدّ القوة الإنجازية مخصصاً للحمل لا للجملة ككل، إذ أنها تنصبّ عليه وحده بحيث لا تدخل في حيزها المكونات الخارجية عنه كالمكون المنادى والمكون المبتدأ والمكون الذيل .

¹ ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، ص: 58.

وبالنسبة للتمثيل الإنجازي في إطار النحو الوظيفي يتم إقترح ما يلي :¹

1- يؤشر القوة الإنجازية المواكبة للحمل بواسطة مخصص الحمل .

2- انطلاقاً من أنّ بعض الجمل قوتين إنجازيتين إثنين، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة، ويؤشر للقوة الإنجازية الواحدة بمخصص حمل بسيط وللقوة الإنجازية المزدوجة بمخصص حمل مركب يتألف من مؤشرين إثنين، ونرى أنّه لا يمثل في مستوى البنية التحتية للجملة إلاّ للقوة الإنجازية التي تنعكس بشكل من الأشكال الخصائص الصورية (التركيبية ، والصرفية، والمعجمية) ومؤدى ذلك أنّ القوة الإنجازية التي لا تأثير لها في الخصائص الصورية للعبارة تتم معالجتها خارج مجال النحو، نحو:²

1- من في هذا البيت ؟ قوة إنجازية (السؤال) مجرداً .

2- هل تصاحبني إلى المسرح ؟ قوة إنجازية (السؤال) التماساً .

وتنحصر حمولة (1) الانجازية في مجرد قوتها الانجازية الحرفية (السؤال 1) في حين (2) تحمل الإضافة إلى "السؤال" قوة إنجازية مستلزمة مقامياً يمكن اعتبارها "إلتماساً".

3- تفقد القوة الإنجازية المستلزمة سمتها المشار إليها في بعض الأحيان عبر التطور اللغوي ؛حيث تصبح معنى معممًا يواكب التركيب المعني بالأمر في جميع مقامات إنجازه وتصبح بذلك قوة حرفية من حيث الأهمية عن القوة الإنجازية الحرفية الأصل، ويلاحظ هذا النزوع في التراكيب الاستفهامية التي تتضمن محمولاً من المحمولات الدالة على "الاستطاعة" .

نحو : هل تستطيع أن تناولني الملح؟ .

¹ علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، ص : 65.

² ينظر : أحمد المتوكل، آفاق جديدة في النحو الوظيفي، ص : 22

تواكب هذه الجملة قوتان إنجائيتان إثنان :قوة حرفية وقوة مستلزمة وهما على التوالي "السؤال" و"الالتماس".

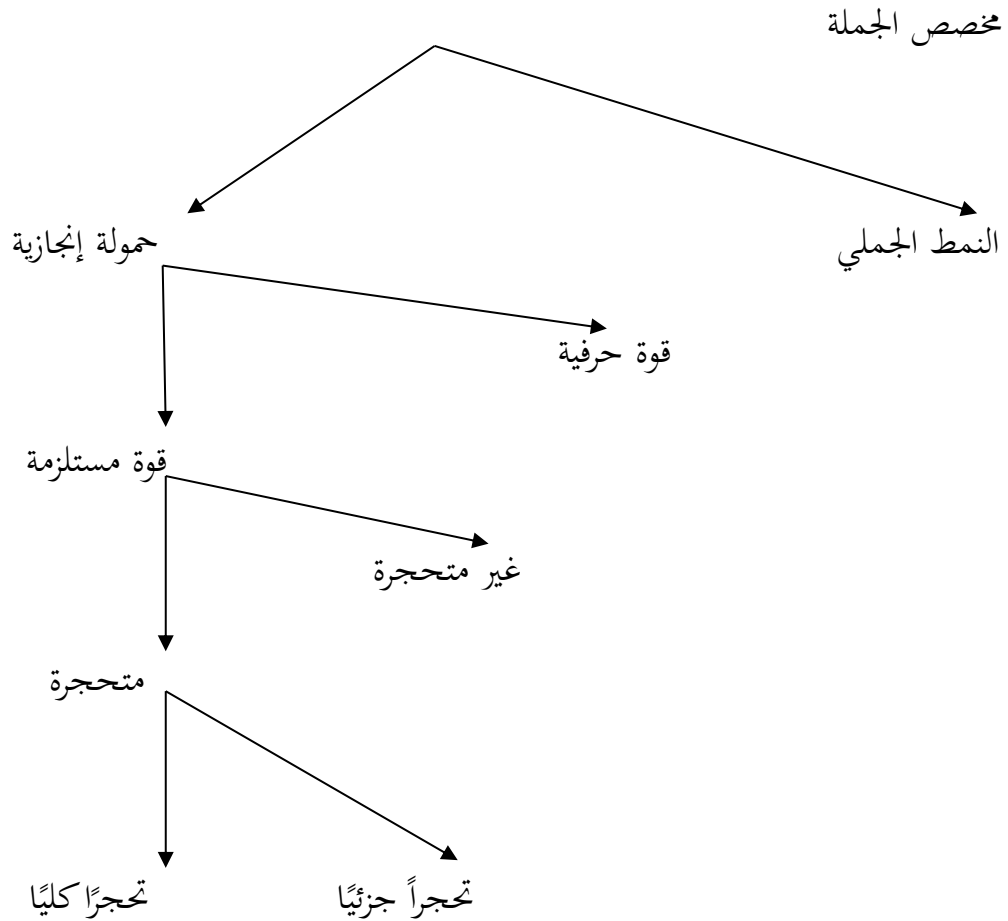
ونلاحظ في هذا المثال أنّ القوة المستلزمة "الالتماس" ليست ثانوية بالنسبة للقوة الحرفية السؤال؛ بل إنها تضارعها .

ومن الملاحظ أنّ ظاهرة انتقال القوة المستلزمة من وضع قوة ثانوية إلى وضع قوة أساسية تشكل فيما يبدو نزوعاً عاماً بالنسبة للتراكيب المتضمنة للمحمولات من قبيل "لاستطاع"، وهذا ما أشار إليه أحمد المتوكل في كتابه "آفاق جديدة في النحو الوظيفي"¹، بظاهرة "التحجر" ونفهم من كلامه أنّ القوة المستلزمة تختلف عن القوة الحرفية في ثانويتها وفي كونها مربوطة مقامياً وتظل محتفظة بهتين السمتين ما لم تتعرض لظاهرة التحجر .

4- يكون التحجر بالنسبة إلى القوة المستلزمة إما جزئياً أو تاماً في الحالة الأولى تصبح القوة المستلزمة غالبية إلا أنّها لا تمنع تواجد القوة الحرفية أما إذا بلغ التحجر منتهاه فإنّ القوة الحرفية تصبح غير ذات ورود فتحل محلها القوة المستلزمة .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، آفاق جديدة في النحو الوظيفي، ص : 29.

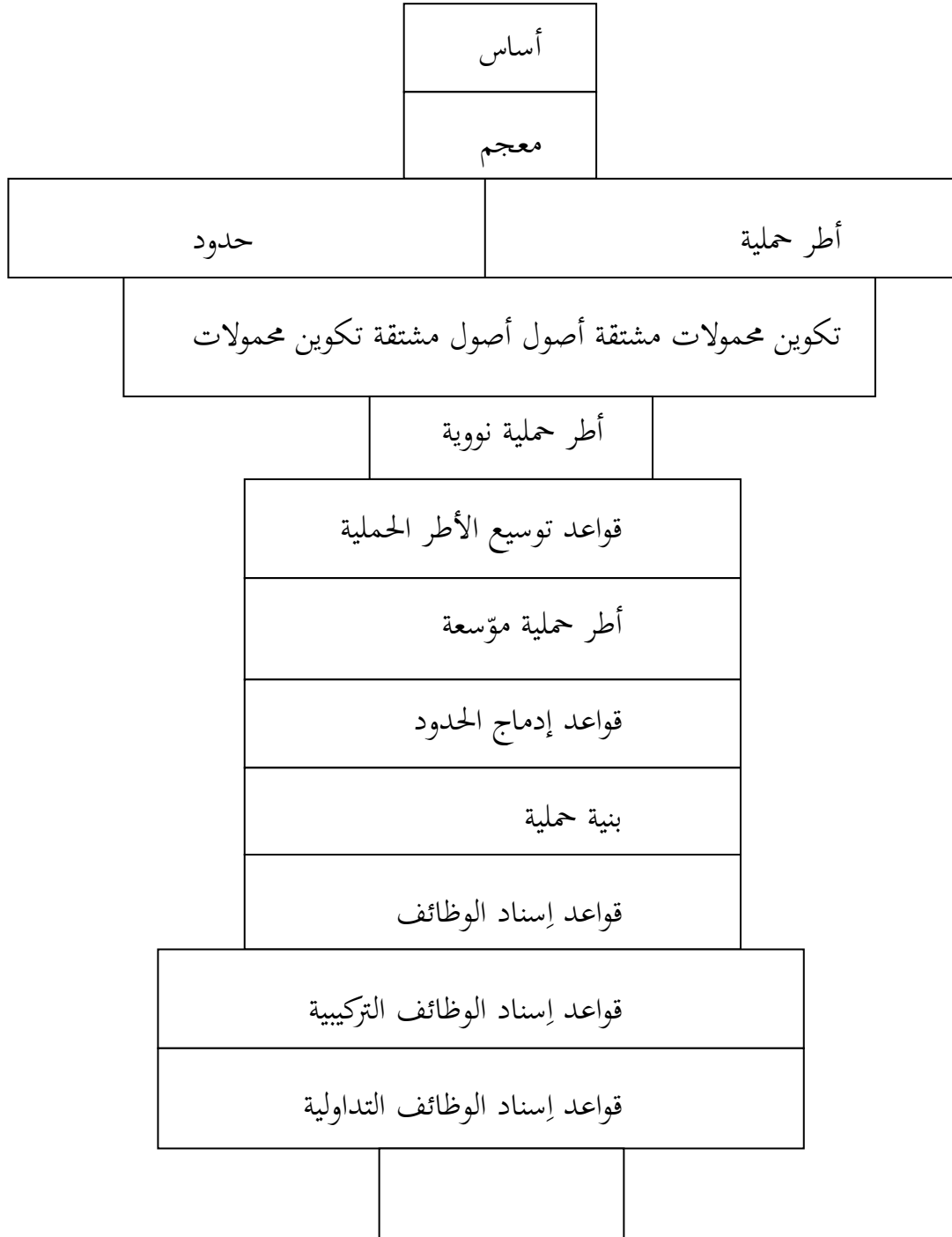
وهذه الحصيلة يمكن لنا أن نمثل لها في هذا المخطط الموضح في الشكل التالي :¹



¹ ينظر : المرجع نفسه، ص : 29.

ويمكن توضيح مراحل اشتقاق الجملة من الإطار الحملي إلى البنية الوظيفية بواسطة الشكل

التالي:¹



¹ ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، ص : 66.

٣- البنية المكوّنة : يقصد بالبنية المكونية "البنية الصرفية التركيبية".

ويتم بناء هذه البنية عن طريق إجراء النسق الثالث من القواعد "قواعد التعبير التي تطبق طبقاً للمعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية، ويشمل نسق قواعد التعبير مجموعات القواعد الآتية :¹

1- قواعد صياغة الحدود .

2- قواعد صياغة المحمول .

3- قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية .

4- قواعد الموقعة .

5- قواعد إسناد النبر والتنغيم .

أ- قواعد صياغة الحدود : تقدمت الإشارة إلى أنّ البنية الحملية للحدّ بنية منطقية تقوم أساساً على مفهوم التقييد حيث تُقيد مجموعة من الأشخاص المجموعة الدال عليها المتغيّر بعدد معيّن من المقيدات، نحو : قابلت الفتاة الجميلة المجتهدة.

1- قابلت الفتيات .

2- قابلت الفتيات الجميلات .

3- قابلت الفتيات الجميلات المجتهدات .

يحصّر المقيد الأول مجموعة الأشخاص الدال عليها المتغير (س1) في مجموعة الفتيات، ويحصّر المقيد الثاني مجموعة الفتيات في مجموعة الجميلات في حين أنّ المقيد الثالث يحصّر مجموعة الفتيات الجميلات في مجموعة الفتيات الجميلات اللواتي يميّزن بخاصية الاجتهاد .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص : 160.

- وتتكفل مجموعة قواعد صياغة الحدود بنقل البنية الحملية من قبيل البنية إلى بنية صرفية – تركيبية، أو بعبارة أخرى إلى "مركب" إذن هذه القواعد هي التي تضطلع بنقل الحد إلى مركب .
- ويتألف الحد إما من مقيد واحد، أو من مقيدات متعددة، ويرد عادة المقيد الأول إسماً كما هو الشأن في مقيد "فتاة" في حين ترد المقيدات الأخرى إما صفات أو جملاً، ويستمد المركب صياغته في أن تسند إليه الحالة الاعرابية .

الدرس العاشر

بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ١

الدرس العاشر : بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ١

بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي :

بناء الجملة في النحو الوظيفي :¹

يرجع تاريخ الوجهة الوظيفية للجملة إلى القرن الماضي حيث درس اللغويون الألمان الجملة من منظور نفسي مهتمين خاصة بمفهوم "الفاعل النفسي" وتُوع هذا النمط من الدراسات في تشيكوسلوفاكيا في فترة ما بين الحربين على يد لغويين مثل : **Vilem Matheuse**؛ حيث تبلور مفهوم الوجهة الوظيفية للجملة كأحد المفاهيم المتحكمة في تركيب المكونات، وبعد عدّة أبحاث اقترح مقارنة للجملة تميّز بين مستويات للتحليل هي :

مستوى دلالي، مستوى نحوي، مستوى وظيفي .

أ- **المستوى الدلالي** : تتضمن الجملة حدثاً ومشاركين في هذا الحدث من أهم المشاركين المشارك "المنفذ" والمشارك "المتقبل أو (الهدف)، وعلى هذا الأساس تكون الجملة في المستوى الدلالي .

ب- **المستوى النحوي** : تعدّ المكونات الأساسية الثلاثة، المنفذ، الحدث، والمتقبل، فاعلاً وفعللاً ومفعولاً بالتوالي .

ج- **المستوى الوظيفي** : يكون مستوى تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التواصلية، وهنا الجملة تتضمن مكونين أساسيين هما " المحور " الدال على ما يشكّل محط الحديث، ومكوّن "التعليق" الدال على ما يشكّل الحديث ذاته؛ أي ما يتحدث به عن المحور .

كما أضيف إلى هذا المستوى مفهوم الحركة التبليغية ويقصد بها مدى إسهام مكونات الجملة في تقدم التواصل وتطوره.

¹ ينظر : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ، ص : 117.

وفيما يخص التعالق القائم بين هذه المستويات الثلاثة ثمة إجماع بين لغوي مدرسة "براغ" على أنّ عناصر كل مستوى من هذه المستويات تقوم بدور معيّن في تحديد بنية الجملة إلاّ أنّ عناصر المستوى الوظيفي تقوم بالدور الأساسي .

- يتم اشتقاق الجملة عن طريق ثلاث بنيات :

البنية الحملية الممثل فيها للخصائص الدلالية، والبنية الوظيفية الممثل فيها للخصائص الوظيفية، والبنية المكونية محل التمثيل للخصائص الصرفية التركيبية .

وكما ذكرنا سابقاً¹، فهذه البنيات الثلاث يتم تطبيقها عن طريق أنساق من القواعد هي (قواعد الأساس، قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية، قواعد التعبير).

ويتم عمل كل بنية وفقاً للإطار الآتي:²

1- البنية الحملية : ينقسم الأساس إلى عنصرين إثنين (المعجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود).

المعجم : تتكون القدرة المعجمية للمتكلم - السامع من صنفين من المعارف :

معرفة مجموعة من المفردات يتعلمها تعلماً قبل إستعمالها وهي ما تعرف بمفردات أصول، ومعرفة نسق من قواعد الاشتقاق تمكنه من تكوين مفردات جديدة، لم يسبق أن سمعها أو إستعملها إنطلاقاً من المفردات الأصول المتعلمة (مفردات مشتقة) .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص : 06.

² ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي، ص : 53.

الدرس الحادي عشر

بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ٢

الدرس الحادي عشر : بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ٢

بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي ٢

ويضطلع المعجم بإعطاء "الأطر الحملية" و "الحدود والأصول" في حين أنّ قواعد التكوين تقوم باشتقاق الأطر الحملية والحدود غير الأصول ويمثل في المعجم للمفردات الأصول في شكل إطار حملي هو بنية تتضمن المعلومات التالية :

أ- صورة المحمول .

ب- مقولته التركيبية (فعل، اسم، صفة، ظرف) .

ج- محلات الحدود المرموز إليها بالمتغيرات (س1، س2، س3) .

د- الوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستقبل) التي تحملها محلات الموضوعات .

هـ- القيود التواردية التي يفرضها المحمول على محلات موضوعه وتأخذ كمثال في اللغة العربية الإطار للفعل "شرب" والصفة أعطى يفاد من الإطار الحملي¹ "شرب" محمول فعلي يأخذ موضعين اثنين، موضوعاً منفذاً وموضوعاً متقبلاً يفرض عليهما قيدي التوارد "حي" وسائل بالتوالي .

وفاد أنّ "أعطى" محمول فعلي يأخذ ثلاثة موضوعات، موضوعاً منفذاً وموضوعاً مستقبلاً وموضوعاً متقبلاً يفرض على أولهما وثانيهما قيدي التوارد "إنسان" و "حي" بالتوالي .

وتعتبر الأطر الحملية في النحو الوظيفي² دالة على "واقعة" يقوم كل حد من حدود المحمول بالنسبة إليها بدور معيّن وتنقسم الوقائع حسب النحو إلى أعمال، أحداث، وأوضاع، وحالات وهذه هي البنية الدلالية للجملة نحو:

¹ ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص: 143

² ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي، ص: 56.

- شرب محمد ماءً .

- فتحت الريح الباب .

- أمين واقف على المصطبة .

- زيد فرح .

ويتبين من هذه الجمل محمولات دالة على عمل وحدث ووضع وحالة على التوالي .

وتنقسم حدود المحمول باعتبار أهميتها بالنسبة للواقعية المدلول عليها إلى قسمين:¹

أ- الحدود الأولى موضوعات Arguments.

ب- الحدود الثانية لواحق Satellites.

تقوم البنية العامة للحمل على محمول وموضوعات ولواحق، وعلى أساس الموضوعات وحدها

تصنف المحمولات إلى :

أ- محمولات أحادية : ذات موضوع، نحو : جلست زينب .

ب- محمولات ثنائية : ذات موضوعين، نحو : شربت زينب شايًا .

ج- محمولات ثلاثية : ذات ثلاثة موضوعات، نحو : وهبت زينب هنداً فستاناً .

ويلاحظ أنّ المحمول لا يفرض قيود إنتقائه بالنسبة لحدود الموضوعات ويعني هذا أنّ اللّواحق في

الأطر الحملية لا تحدد بالنسبة لها قيود الانتقاء ويصطلح على تسمية الإطار الحملي الذي يتضمن إلّا

الحدود الموضوعات "إطاراً حملياً نووياً"

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص56.

الدرس الثاني عشر

الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي

الدرس الثاني عشر : الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي

الوظائف التركيبية:

مستويات التمثيل في النحو الوظيفي : يتمثل في ثلاثة وظائف هي :

أ- الوظيفة التركيبية¹:

تقدّم أنّ حمل الجملة محمول دال على واقعة، عمل، حدث، وضع حالة عدد ومن الحدود الدالة على المشاركين (أساسيين ثانويين) في الواقعة الدال عليها المحمول .

وتقدم الواقعة إنطلاقاً من "وجهة" معينة فتنتفي بعض الحدود لتكون إمّا منظوراً رئيسياً أو منظوراً ثانوياً وتظل الحدود الأخرى خارج مجال الوجهة، وإلى هذين الحدين تستند بالتوالي الوظيفتان التركيبيتان "الفاعل" و"المفعول به"، وتظل الحدود غير الوجهية بدون وظيفة تركيبية، ويمكن على هذا الأساس تعريف الوظيفتين الفاعل والمفعول به التالي :

- تستند وظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكّل المنظور الرئيسي للوجهة .
- تستند الوظيفة "المفعول" إلى الحد الذي يشكّل المنظور الثانوي للوجهة .
- وتمثل لذلك بالجملتين :

أ- ناقش السادة الأساتذة أطروحة هذا المساء في المدرج .

ب- نقش أطروحة هذا المساء في المدرج .

حيث انتقي الحدان المنفذ والمتقبل منظوراً رئيسياً ومنظوراً ثانوياً بالتوالي في الجملة الأولى والحدّ المتقبل منظوراً رئيسياً في الجملة الثانية .

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص 150.

ويتم إسناد الوظيفتين التركيبية الفاعل والمفعول بمقتضى سلمية الأدوار الدلالية الآتية :

منف < متق < مستق < مستق < أد < مك < زم .

فالوظيفة الفاعل تسند بالدرجة الأولى إلى الحد الحامل لدور المنفذ ثم الحد الحامل لدور المتقبل ثم الحد الحامل لدور المستقبل وهكذا دواليك .

فوظيفة المفعول تسند بالدرجة الأولى إلى الحد الحامل لدور المتقبل ثم الحد الحامل لدور المستقبل وهكذا كما يتبين من السلمية الآتية :

منف متق مستق أد مك زم

فا + < + < + < + < +

مف + < + < + < + < +

."

الدرس الثالث عشر

الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي

الدرس الثالث عشر: الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي

الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي:

الوظائف الدلالية :

كانت الوظائف الدلالية في أدبيات النحو الوظيفي الأولى (ديك 1978) تنحصر في الأدوار الدلالية (منفذ، متقبل، هدف، أداة، زمان....) التي تسند إلى حدود الحمل وفقاً لمساهمة الدّوات المحال عليها في الواقعة الدّال عليها المحمول، وكانت الوظائف الدلالية إذن تنحصر في المستوى التمثيلي للجملة بالأساس .

ومعنى ذلك أنّ الوظائف الدلالية تحمل حدود المحمول مهمتهما التأشير إلى نوع مساهمة الدّوات التي تحيل عليها هذه الحدود في الواقعة ككل، فالوظيفة الدلالية "المنفذ" تؤشر للذّات التي قامت بتحقيق الواقعة والوظيفة الدلالية "المتقبل" تؤشر للذّات التي تتحمل الواقعة .

وتختلف الوظائف الدلالية عن الوظائف التركيبية والوظائف التداولية إختلافاً بيّناً، فالوظائف التركيبية (الفاعل، المفعول ...) يتم تحديدها من الواقعة نفسها؛ بل من المنظور المعتمد في تقديم الواقعة، فالوظيفة الفاعل تُسند إلى الحد الدّال على الذّات المتخذة منظوراً رئيسياً بينما الوظيفة المفعول تُسند إلى الحد الدّال على الذّات المتخذة منظوراً ثانوياً، نحو : أ- عشق خالدٌ هنداً¹ .

ب- عُشقت هندٌ (من قبل خالد).

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، سنة 1995م، ص : 82.

مثلاً في الجملة أ اتخذ الحد المنفذ منظوراً رئيسياً فأخذ الوظيفة الفاعل، في حين أنّ الحد المتقبل هو الذي أخذ هذه الخاصية في جملة "ب" .

ولكن نلاحظ الآن بعد أن أصبح النحو الوظيفي يصبو إلى تحقيق مطمحين :¹

أ- توسيع مجال الوصف ونقله من الجملة إلى النص .

ب- تبني افتراض التماثل البنيوي بين مختلف أقسام الخطاب (مركب إسمي، جملة، نص).

ويرى المتوكل أنّه يتعيّن أن يعاد النظر في الوظائف الدلالية ويتم ذلك من ناحيتين إثنين: (مجال هذه الوظائف، وتحديد طبيعتها):²

أ- من حيث المجال يتعيّن أن تفرز النظرية وظائف دلالية ترصد العلاقات القائمة لا في إطار الجملة أو المركب الإسمي؛ بل كذلك في إطار النص بكامله، ويجب بعبارة أخرى أن تعمم الوظائف الدلالية لتشمل المركب الإسمي والجملة (بفروعها) والنص، من حيث المجال كذلك يجب إمداد الطبقات المستحدثة بما يلائمها من وظائف .

ب- من المتوقع - ومن الطبيعي أن يستلزم تبني افتراض التماثل البنيوي إعادة تحديد الوظائف الدلالية بحيث يصبح من الممكن افتراض نفس الوظائف (أو على الأقل وظائف متناظرة) في مختلف أقسام الخطاب من المركب الإسمي إلى النص مروراً بالجملة، ويتضمن حمل جملة في هذا المستوى محمولاً يدل على واقعة ما (عمل، حدث، وضع، حالة) وحدوداً تدل على المشاركين في هذه الواقعة كما يتبيّن من التمثيل العام التالي :³

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، سنة 2001، ص : 106.

² ينظر : المرجع نفسه، ص : 106.

³ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي ، دار الأمان، الرباط، ص: 195.

[(محول)، (حدا، حدّ.... حرص)].
 ↓ ↓
 مشاركة واقعة

وتحدد وظيفة كل حدّ طبقاً لنوع مشاركته في الواقع الدال عليها المحمول فهو إمّا "منفذ" أو "متقبل" أو "مستقبل" حين تكون الواقعة عملاً كما في الجملة الآتية :

نحو : - أعطى خالد (منفذ) عليّاً (مستقبلاً) كتاباً (متقبلاً).

وهو "قوة" إذا كانت الواقعة حدثاً .

نحو : دوى الرعد (قوة) .

و"متموضع" و"حائل" حيث تكون الواقعة "وضعا" أو "حالة"

نحو : - جلس خالد (متضبطاً).

- هند (حائلاً) فرجة .

هذا بالنظر إلى الحدود الواردة موضوعات، أمّا الحدود اللّواحق فإنّها تأخذ وظائف دلالية ظرفيّة

كوظائف : الزمان، المكان، الأداة، الحال، العلة ...) نحو ما يلي :¹

- قابلي خالد مبتسماً (حال).

- رأيت هند البارحة (زمان) في الشارع (مكان) .

- قطعت هند اللحم بالسكين (أداة).

¹ ينظر : أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي، ص: 196.

- أخرجت هند من القاعة عقاباً لها (علة).

وبخلاف الوظائف الأخرى يؤشر للوظائف الدلالية في المعجم ذاته باعتبار العلاقة القائمة بين المحمول وحدوده مثال ذلك المدخل المعجمي للفعل "شرب" الذي يمثل له على الشكّل التالي :

ش ر ب (فعل) ف (س¹ : <حي>) منف (س² : <سائل>) متق

حيث يأخذ محلاً للموضوعين الأول والثاني الوظيفتين الدلالتين منفذ ومتقبل على التوالي .

وتعتبر هذه المستويات التي تقدّم ذكرها آنفاً (الوظيفة التركيبية، والوظيفية التداولية، الوظيفة الدلالية)

مستويات التمثيل النحوي في النحو الوظيفي .

ونستشف مما تم ذكره سابقاً أنّ الاهتمام اللساني قد إنتقل من العناية بوصف اللّغة إلى العناية بالنحو ؛بل وقد تجاوز مرحلة التركيز على تجميع المعطيات وتصنيفها إلى التركيز على الأنساق القاعدية لكيفية تلقي الفرد واستعماله للّغة بوصفها وسيلة إتصال يستعين بها الأفراد لتحقيق أهدافهم.

المشروع المتوكلي وآفاقه في النحو الوظيفي :

تفرّد أحمد المتوكل في تصدر اللسانيين العرب عامة في التأطير للمشروع اللساني الوظيفي في الوطن العربي، وهو يشمل على ثلاثة إتجاهات تتمثل فيما يلي :

أ- إعتبار المنهج اللساني هو المنهج الأنجع والوحيد الملائم لدراسة اللغة العربية .

كما يؤكّد على ذلك كل من عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه اللسانيات واللغة العربية، وخليل كلفت في " من أجل نحو جديد" أنّ اللسانيات العامة أثبتت كفايتها الوصفية وهي قادرة أن تغنيّا عن النحو التقليدي وليس هناك ما يمكن أن يشكك في ذلك .

واعتماداً على نظرية النحو الكلي الكوني فالنحو واحد في كل اللغات، وفي كل لغة يكون النحو الجمعي هو الأصل والمرجع للنحو، وأنّ هذه النظرة تجرّد النحو التقليدي من أوهامه عن نفسه، وتحرر أفراد الجماعة اللغوية من تقديسهم لهذا العلم بغثه وسمينه بمنجزاته الحقيقية وبإخفاقاته من أجل فتح الطريق أمام تطوير علم النحو وحلّ مشكلاته وتهيئته لجعل المعالجة الآلية للمعلومات باللغة العربية أمراً سهلاً ميسراً¹.

ب- أقرب المقاربات إلى وصف ظواهر اللغة وتفسيرها هي المقاربة التي تربط بين بنيّة اللغة بوظيفتها التواصلية وتدرس هذه البنية على أساس أنّها تابعة لتلك الوظيفة التواصلية إلى حدّ كبير وهو الذي تعتمد عليه نظرية النحو الوظيفي .

يكمن جوهر النظرة اللغوية في أنّها تعتمد على البحث عن الفعل التواصلية اللغوي دائماً بقصد الكشف عن حتميات عمل الرسائل اللغوية ونظامها المقتضى وظيفياً .

ج- دراسة اللغة العربية صرفاً وتركيباً ودلالة وتداولاً من نفس المنظور؛ أي ترابط البنية بالوظيفة وتنميط اللغة العربية بمقارنتها مع غيرها من اللغات ودراسة تطورها .

وضع أحمد المتوكل نحواً وظيفياً للغة العربية متكاملاً، وتوصل فيه إلى تنميط يميّز بين فئتين من اللغات المؤسسة تداولياً، واللغات المؤسسة دلاليًا، وتنتمي اللغة العربية حسب هذا التنميط إلى اللغات المؤسسة تداولياً، ويقصد بها تلك العشيرة اللغوية التي تُغلب المستوى التداولي على المستويين الدلالي والصرفي - التركيبي .

وساهم المتوكل في نقل اللسانيات من وضع الوصف اللغوي المحض إلى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية؛ حيث أقرّ بفكرة أنّ النظرية اللسانية - وظيفية كانت أو غير وظيفية - يجب أن تحرر

¹ ينظر : جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، ص : 65.

كفايتين : كفاية لغوية وكفاية إجرائية، الكفاية اللغوية تحرزها حين تستشرف مستوى الوصف الملائم لظواهر اللغات البشرية .

وتحرز الكفاية الإجرائية حين تستطيع نفس النظرية أن تطبق في مجالات اجتماعية اقتصادية كالترجمة وتحليل النصوص والأمراض النفسية المسببة للاضطرابات اللغوية¹.

كما إنطلق المتوكل من مبدأ لا قطيعة معرفية مع التراث عن الدرس اللساني الحديث وعلى هذا المبدأ وضع منهجية علمية واضحة المعالم لإعادة قراءة التراث اللغوي القديم، ومن مبادئ هذه المنهجية أنّ الفكر اللغوي العربي القديم كلّ لا يتجزأ من نحو وصرف وبلاغة وأصول فقه وتفسير إلى غير ذلك من العلوم، باعتبار هذه الأخيرة تؤدي إلى أساس معرفي واحد وهو الأساس الوظيفي مستدلاً في ذلك على أنّ المفكرين العرب القدماء درسوا اللغة إنطلاقاً من نصوص وليس من جمل صورية منفردة، وكانت هذه المقاربة وظيفية في أساسها تربط بنية اللغة معجماً وصرفاً وتركيباً بوظيفة التواصل.

¹ ينظر : محمد الحسن مليطان، نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج والمفاهيم، منشورات ضفاف، الرباط، ط01، سنة 2014، ص : 17.

الدرس الرابع عشر

الوظائف التداولية في النحو الوظيفي

الدرس الرابع عشر: الوظائف التداولية في النحو الوظيفي

الوظائف التداولية في النحو الوظيفي:

ب- الوظائف التداولية : تمتاز الوظائف التداولية عن الوظائف التركيبية والوظائف الدلالية بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام، بعبارة أخرى تسند هذه العلاقات إلى المكونات حسب المعلومات الإخبارية التي تحملها وطبقاً للطبقات المقامية التي يمكن أن تنجز في الجملة .

وتعتبر مجموعة الظواهر¹ نحو :المبتدأ، البؤرة، المحور وغيرها ظواهر تداولية مرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف المقامية التي تنجز فيها الجمل، على غرار العلاقات الدلالية منفذ **Agent** متقبل **Coal**

مستقبل **Récipient** مستفيد **Benificiary** والعلاقات التركيبية الفاعل **sujet** ,مفعول **Object** وتختلف التحديدات المقترحة بالنسبة للعلاقات التداولية باختلاف هذه النظريات، كما تختلف كيفية التمثيل لها باختلاف كيفية تنظيم النحو داخل كل نظرية وتنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في خمس وظائف وتنقسم بالنظر إلى وضعها بالنسبة للحمل إلى قسمين :²

أ- وظائف خارجية :

تُسند إلى المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل ذاته ؛أي وظيفة "المنادى" ووظيفة " المبتدأ" ووظيفة "الذيل" .

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 09.

² ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص : 151.

ب- الوظائف الدّاخلية :

فهما الوظيفتان اللّتان تسندان إلى مكونات تعد عناصر الحمل ذاته (موضوعات المضمون أو لواحقه)

الوظيفتان التداوليتان الدّاخليتان هما الوظيفتان "البؤرة، المحور، مع ورود التمييز بين بؤرتين "بؤرة جديدة، وبؤرة مقابلة .

التمثيل :

الوظائف الخارجية :

المبتدأ : نجد أنّ هناك شبه إجماع بالنسبة للفكرة الأساسية التي يقوم عليها تعريف المبتدأ في مختلف الدراسات التي إهتمت بالوظائف التداولية وهي : " أنّ المبتدأ يحدد مجال الخطاب بالنسبة لما يأتي بعده كما عرّفه ديك في كتابه سنة 1978 أنّ : " المبتدأ **Thème** هو ما يحدد مجال الخطاب **univers of discoures** الذي يعتبر الحمل **prédication** بالنسبة إليه وارداً **Relevant**¹:

نحو : جملة : زيد قام أبوه .

يمكن أن يمثل لبنية هذه الجملة تمثيلاً أولياً كما يلي :

- زيد (مبتدأ)، [قام أبوه] حمل .

الجملة إذن تتركب من ركنين أساسيين .

حمل : (قام أبوه).

مبتدأ : (زيد) وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه وارداً .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 143.

وعن خصائص المبتدأ في اللغة العربية وما يميّزه عن وظائف تداولية أخرى نجتمعها في هذه النقاط الآتية :

1- المبتدأ وظيفة تداولية تحدد حسب المقام .

2- يتيح اعتبار المبتدأ وظيفة تداولية وصف خصائصه بطريقة أكثر طبيعية إذ أنّ هذه الخصائص جميعها (معرفية، موقعه، خارجيته، إعرابه) يمكن أن تفسّر كما رأينا إنطلاقاً من تعريفه من منظور تداولي .

3- يشاطر المبتدأ في بعض خصائصه وظائف أخرى كالمحور والبؤرة والذيل، إلّا أنّها تختلف عنه من جهة، وتتمايز فيما بينها من جهة ثانية .

الذيل : يمثل الذيل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعدّلها أو تصحّحها .

نحو : الجملة الآتية ¹.

أ- أخوه مسافر زيد .

قد يعطي المتكلم المعلومة م ثمّ يلاحظ أنّها ليست واضحة الوضوح الكافي فيضيف معلومة م لإزالة الإبهام، مثلاً تضاف المعلومة التي يحملها المكون الذيل "زيد" لإزالة إبهام الضمير (هـ) في أخوه .

- يُعطي المتكلم المعلومة م ثمّ يلاحظ أنّها ليست المقصود إعطاؤه فيضيف المعلومة م التي تعدّلها كما في المثال الآتي :

ب- قرأت الكتاب نصفه .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 148.

ففي هذا المثال تضاف المعلومة التي يحملها المكون "نصفه" لتعديل المعلومة التي يحملها المكون "الكتاب".

وقد يعطي المتكلم المعلومة ثم ينتبه إلى أنّها ليست المعلومة المقصود إعطاؤها فيضيف المعلومة م قصد تصحيحها (أي إحلال معلومة أخرى محلها).

نحو : قابلت زيداً؛ بل خالد¹.

ففي هذه الجملة تضاف المعلومة التي تحملها العبارة خالد لتصحيح المعلومة التي تحملها العبارة زيداً

ونلاحظ من خلال ما تمّ طرحه من دراسات عن هذا المكون ما يلي :

1- المكون الذيل هو مكون خارجي يظل مرتبطاً بالحمل أكثر من المكونين الخارجيين الآخرين "المبتدأ" و " المنادى " .

2- يأخذ المكون الذيل الحالة الإعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أو وظيفته التركيبية أو وظيفته التداولية وتتفاعل هذه الوظائف في تحديد حالاته الإعرابية .

3- يلاحظ أن البنيات المذيلة في بعض اللغات الهندية الأوربية كاللغة الفرنسية مثلاً: يمكن أن تشتمل ذيلين إثنيين؛ بل على ذيل ثلاثة نحو :

– Je l ai donné pierre. Le livre

– Je le lui ai donné . le livre . à pierre

–Je Ly lui ai donné . le livre . à pierre . à la bibliothèque .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 156.

أما بالنسبة للغة العربية فإنّه يبدو أنّ البنىّات المذيّلة لا يمكن أن تشتمل إلاّ على ذيل واحد .

نحو : أعطيته إياه، زيد، الكتاب .

المنادى :¹

هو وظيفة تستند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معيّن ووظيفة المنادى وظيفة تداولية تؤاسر المبتدأ والذيل والبؤرة والمحور فإسنادها كإسناد هذه الوظائف الأربع مرتبط بالمقام، وليس المنادى وظيفة دلالية كالمنفذ والمتقبل والأداة ...، ولا وظيفة تركيبية كالفاعل والمفعول لأنّه لا يقوم بأي دور بالنسبة "للواقعة" (حدث، عمل، وضع، حالة) التي يدل عليها محمول الجملة ولا يسهم في تحديد "الوجهة" **Perspective** التي ينطلق منها في تقديم هذه "الواقعة" وفيما يتعلق بإعراب المنادى فإنّه يلاحظ أنّه يرد، سطحًا منصوبًا، ومرفوعًا، كما يتبيّن من هذه الجمل :

نحو : أ- يا طالعًا جبلاً، إحذر .

ب- يا رجل، حان وقت الذهاب .

ويرى المتوكل في كتابه الوظائف التداولية في اللّغة العربية أنّ : المكون المنادى باعتباره مكونًا خارجيًا لا يحمل وظيفة دلاليّة، ولا وظيفة تركيبية تحدد إعرابه، ويأخذ بالتالي حالته الإعرابية النصب بمقتضى وظيفته التداولية .

ويستدل على ذلك على أنّ الحالة الإعرابية المجرّدة المسندة إلى المنادى في البنية الوظيفيّة هي الحالة الإعرابية النصب لا الحالة الإعرابية الرفع كما يستنتج من الجملة (ب) بإشارة النحاة العرب القدماء إلى أنّ تابع المنادى يأخذ العلامة الإعرابية الفتح في البنىّات الندائيّة الممثل لها في الجملة (أ)،

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 176

ويأخذ العلامة الإعرابية الفتح، أو العلامة الإعرابية الضم في البنية الندائية الممثل لها في الجملة (ب) ولكنه لا يمكن له أن يأخذ العلامة الإعرابية الضم في البنية الأولى : ¹

نحو : أ- يا رجلاً واقفاً اجلس .

ب- يا صديق خالد الكريم، ساعد صديقك .

أ- يا زيد الكريم، اعف عن أخيك .

ب- يا زيد الكريم، اعف عن أخيك .

أ- 0 يا رجلاً واقفاً، اجلس .

ب- 0 يا صديق خالد الكريم، ساعد صديقك .

ونستنبط مما تم إلحاقه من دراسة حول مكوّن "المنادى" ما يلي :

1- يقتضي الوصف الطاعي للوظائف في اللغات الطبيعية إضافة وظيفة المنادى إلى الوظائف التداولية المقترحة في النحو الوظيفي :المبتدأ، الذيل، البؤرة، المحور .

2- المنادى وظيفة تسند إلى أحد مكونات الجملة بيد أنّ النداء فعل لغوي يشكّل "الجهة " أو "القدرة الإنجازية " للجملة .

3- تستند وظيفة المنادى كما تستند وظيفتا المبتدأ أو الذيل إلى مكوّن خارجي بالنسبة لحمل الجملة وتنعكس خارجيّة هذا المكوّن على إعرابه وموقعه .

4- يأخذ المنادى الحالة الإعرابية المجردة النصب بمقتضى وظيفته التداولية "المنادى" نفسها باعتبار أنّه ليس موضوعاً من موضوعات محمول الجملة، ولا يأخذ لذلك وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية.

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص : 176.

5- يحتل المكوّن المنادى موقعًا من المواقع الخارجية متصدرًا الجملة متقدمًا على كل من المبتدأ والحمل.

الوظائف الداخلية:

البؤرة:¹ وظيفة البؤرة تستند إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية، أو الأكثر بروزاً في الجملة نحو : عاد زيد من السفر **البارحة**، ويمكن لنا أن نُميّز نوعين من البؤرة : "بؤرة الجديد" و"بؤرة المقابلة" من حيث طبيعة ووظيفة البؤرة، كما يمكن أن نُميّز بين "بؤرة المكون" و"بؤرة الجملة" من حيث مجال **Scope** هذه الوظيفة .

أ- بؤرة الجديد : هي البؤرة المسندة إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يجلبها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب).

ب- بؤرة المقابلة : هي التي تسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها، ونميز بين ورود "بؤرة الجديد"، و"بؤرة المقابلة" على النحو التالي:

- تسند "بؤرة الجديد" إلى الحد الحامل للمعلومة التي لا يتقاسم معرفتها المتكلم والمخاطب نحو:

أ- متى سألقاك ؟²

ب- سألقاك غداً.

وينطبق هذا التعريف على المكونين (متى، غداً) .

وتسند بؤرة المقابلة إلى الحد الحامل للمعلومة التي يتردد المتكلم أو المخاطب في ورودها، نحو :

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 28.

² ينظر : أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص : 155.

- 1 { أ- أقصيصًا إقتنت زينب
ب- معطفًا إقتنت زينب
أ- إقتنت زينب قصيصًا .

2 ب- الذي إقتنته زينب معطفًا

ج- ما إقتنت زينب إلاّ معطفًا .

وينطبق هذا التعريف على المكونين المتصدرين في الجملتين (أ، ب) (1).

والمكون المفصول في الجملة (ب) (2) والمكون المستثنى (ج).

ج- بؤرة المكوّن / د- بؤرة الجملة :

تسند كل من بؤرة المقابلة وبؤرة الجديد إلى مكوّن من مكونات الجملة، أو إلى جملة برمتها فالجمل هذه :

1- أ- عاد زيد من السفر البارحة، ب- حدثني عمرو البارحة عن مقالته .

2- أ- البارحة عاد زيد من السفر (لا اليوم)، ب- عن مقالته حدثني عمرو البارحة (لا عن كتابة).

3- أ- الذي رأيته البارحة زيد لا خالد، ب- الذي أعطيته الكتاب عمرو (لا زيد) .

4- أ- ما رأيته البارحة إلاّ زيدًا، ب- ما أعطيت الكتاب إلاّ زيدًا.

5- أ- إنّما رأيته البارحة زيدًا، ب- إنّما أعطيت الكتاب زيدًا .

تحتوي على بؤرة المكوّن باعتبار أنّ البؤرة (بؤرة جديد وبؤرة مقابلة) .

مسندة فيها إلى مكون من مكوناتها .

يبد أنّ الجمل (6)، (7) تحتوي على بؤرة جملة باعتبار أنّ البؤرة مسندة فيها إلى الجملة برمتها¹.

نحو (6) أ- عمرو، عاد أخوه من السفر .

ب - زيد مسافر .

ج- هل عاد زيد من السفر .

(7) أ- إنّ زيداً مسافر

ب- إنّما زيد مسافر .

ج- أحضر الضيوف (أم لا) .

ونفهم من ذلك أنّ بؤرة الجملة بؤرة الحمل **prédication** إذ أنّ المكونات الخارجة عن الحمل (المبتدأ، والذيل، والمنادى) لا يشملها مجال التعبير .

ونستخلص مما ذكر سابقاً ما يلي :

1- تقتضي ظاهرة التعبير في اللغة العربية أن نميّز بين نوعين إثنين من البؤرة (بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة)، كما تقتضي أن نفرق بالنسبة لكل من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة بين البؤرة المسندة إلى مكون (بؤرة المكون، والبؤرة المسندة إلى الحمل برمته (بؤرة الجملة).

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 31.

2- تعتبر اللغة العربية من اللغات الطبيعية التي لا تحدد فيها وظيفة البؤرة (بنوعيتها الحالة الإعرابية التي يأخذها المكوّن المسند إليه ويأخذ المكوّن البؤرة بناءً على هذا حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أو وظيفته التركيبية إذا كان حاملاً لوظيفة تركيبية بالإضافة إلى وظيفته الدلالية .

3- ولئن كانت وظيفة البؤرة لا تلعب دوراً في تحديد إعراب المكون المسند إليه فإنّها تحدد موقعه داخل الحمل، فالمكوّن المسند إليه وظيفة بؤرة الجديد يحتل الموقع الذي تخوله إياه وظيفته الدلالية أو وظيفته التركيبية بيد أنّ المكوّن المسند إليه وظيفة بؤرة المقابلة يحتل وجوباً صدر الحمل .

ويرى المتوكل أنّ معطيات اللغة العربية تقتضي أن نميّز بين صدر الحمل بين موقعين إثنيين م¹ الذي تحتله الأدوات الصدور (حرفا الاستفهام وإنّ وما النافية إلى غير ذلك) والموقع^٥ الذي تحتله المكونات المسندة إليها وظيفة بؤرة المقابلة أو وظيفة المحور أو أسماء الاستفهام .

ب- المحور¹:

تسند وظيفة المحور **Topic** إلى المكوّن الدال على ما يشكّل المحدث عنه داخل الحمل **prédication** نحو :

أ- متى رجع زيد .

ب- رجع زيد البارحة .

يشكّل المكوّن زيد محور الجملتين لدلالته على الشخص المحمول عليه بقية الجملة (متى رجع) في الجملة الأولى، (رجع البارحة) في الجملة الثانية .

ويأخذ هذا المكوّن وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معيّنة "فزيد" في الجملتين (أ و ب) يدل على "المحدث عنه" مع الفرق الآتي:

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 69.

- يدل "زيد" في الجملة الأولى على الشخص الذي يشكّل محور "الاستخبار" .

- ويدل في الجملة الثانية على الشخص الذي يشكّل محور "الاخبار" .

ملاحظة :

قد يلبس بين المبتدأ والمحور باعتبارهما يشتركان في أنّ كل منهما "محدث عنه، ولكنهما يختلفان في كونهما ذوي خصائص تداولية تركيبية مختلفة، ويكمن الفرق الأساسي بينهما في أنّ المحور "المحدث عنه" داخل الحمل (أي أنّه مكوّن من مكونات الحمل يأخذ وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية).

في أنّ المبتدأ "محدث عنه" خارجي بالنسبة للحمل، ونجمل الخصائص التي يميّز بها المحور فيما يلي:¹

1- تسند وظيفة المحور إلى المكون الدال على ما يشكّل المحدث عنه داخل الحمل ويمكن إسناد هذه الوظيفة إلى أي مكوّن من مكونات الجملة إلاّ أنّ المكوّن الحامل للوظيفة التركيبية "الفاعل" يستأثر غالباً بأخذ هذه الوظيفة .

2- تسند إلى المكوّن المحور باعتباره مكوّنًا "داخليًا" (أي باعتباره موضوعًا من موضوعات الحمل) الحالة الإعرابية المجردة التي تقتضيها وظيفته الدلالية، أو وظيفته التركيبية (إذا كان حاملاً لوظيفة تركيبية بالإضافة إلى وظيفته الدلالية).

3- يمكن أن يحتل المكوّن المحور الموقع الذي تخوله إياه وظيفته التركيبية أو وظيفته الدلالية كما يمكن أن يحتل الموقع م⁰ إلاّ أنّه يحتل حسب اتجاه عام، هذا الموقع الأخير في أغلب الأحوال وتخضع قاعدة موقعة المحور في م⁰ لمجموعة من القيود كقيد الاحالية وقيد أحادية الموقعة وقيود الجزر .

¹ ينظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص : 108.

وتختلف أحكام موقعة المكوّن المحور تبعًا لأنماط البنيات الثلاثة في اللّغة العربية: البنية الفعلية، والبنية الاسمية، والبنية الرباطية .

خاتمة

خاتمة :

في ضوء ما تم عرضه، يتبين أن النحو الوظيفي ليس مجرد تيار لساني جديد يندرج ضمن محاولات تجاوز النحو التقليدي، بل هو مقارنة متكاملة ترى في اللغة ظاهرة اجتماعية-تواصلية قبل أن تكون بنية صورية مغلقة، فاللغة الطبيعية، وإن كانت تتكون من نسق من الخصائص البنيوية مثل الصوتيات والصرف والتركيب والدلالة، إلا أن هذه البنية ليست معزولة عن الغاية التي وجدت من أجلها، وهي تحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، إن هذا الفهم الوظيفي للغة يُعدّ حجر الزاوية في بناء النظرية الوظيفية، التي ترى في الوظيفة التواصلية المحدد الأساسي لبنية اللغة وتطورها.

لقد بين العديد من اللسانيين، وعلى رأسهم جاكسون وهالداي، أن اللغة تؤدي عدداً من الوظائف، منها التوصيلية، والتعبيرية، والانفعالية، والإيحائية، والمرجعية، وغيرها، إلا أن الوظيفة التواصلية تظل الأساس الذي تنبني عليه بقية الوظائف، ومن هنا فإن النحو الوظيفي لا يكتفي بوصف البنية اللغوية من داخلها، بل يسعى إلى تفسير هذه البنية انطلاقاً من الاستعمال، أي من تفاعل المتكلمين والمخاطبين في سياقات حقيقية فالبنية في هذا المنظور، ليست هدفاً في ذاتها، وإنما هي وسيلة لخدمة غاية وظيفية.

وهكذا يتجلى الطابع التفاعلي للغة، حيث تتعالق وظيفتها وبنيتها بشكل ديناميكي، فلا يمكن النظر إلى عناصر اللغة - من صوتيات وصرف ونحو ودلالة - بمعزل عن السياق التواصلية الذي تنخرط فيه ، ومن ثمّ، فإن النحو الوظيفي يسعى إلى تقديم وصف دقيق وشامل للقدرة التواصلية، تلك القدرة التي تجمع بين المعرفة البنيوية للغة (النحو) والمعرفة التداولية (السياق والاستعمال)، وهو ما يجعل هذا التيار اللساني قريباً من واقع الاستعمال اللغوي، وأكثر قدرة على تفسير التنوع والمرونة في الأداء اللغوي البشري.

إن من أهم الإسهامات التي يقدمها النحو الوظيفي للدرس اللساني المعاصر، هي إعادة الاعتبار للبعد الاستعمالي والاجتماعي في تحليل اللغة، وهو ما يسمح ببناء نماذج تحليلية أكثر دقة وواقعية، سواء في مجال تعليم اللغات، أو في تحليل الخطاب، أو في فهم الظواهر اللغوية المركبة. كما أنه يفتح المجال أمام دراسات متعددة التخصصات تربط بين اللغة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والمعرفة، مما يجعله أرضية خصبة لتطوير البحث اللغوي في اتجاه أكثر شمولاً وتكاملاً.

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن النحو الوظيفي لا يمثل فقط بديلاً نظرياً عن النحو التقليدي أو التحويلي، بل هو إعادة بناء شاملة لمفهوم النحو ذاته، من حيث المضمون والغاية. فهو نحو ينطلق من الواقع اللغوي ليعود إليه، ويركز على المعنى والاستعمال أكثر من الشكل، ويجعل من القدرة التواصلية جوهر الكفاية اللغوية، لا مجرد التمكن من قواعد جامدة. لذا فإن تبني هذه المقاربة في تعليم اللغة العربية وتحليل نصوصها، من شأنه أن يسهم في تجاوز العديد من الإشكالات التربوية والبحثية، ويقرب المتعلم والدارس من طبيعة اللغة كما تُستعمل فعلاً في الحياة اليومية.